



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- تيزي وز -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع: التاريخ



المحلية

في المغربين الأوسط والأدنى

لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830

:

سعيد زهار

:

باية مسعودان

الجامعية: 1445-1446 / 2024-2025



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث

- تيزي وز -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع: التاريخ



المحلية

في المغربين الأوسط والأدنى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830

:

سعيد زهار

:

باية مسعودان

المؤسسة الجامعية	()	
رئيسا	مولود معمري تيزي وزو	/-سامية
	مولود معمري تيزي وزو	/-سعيد زهار
	مولود معمري تيزي وزو	/-سعيد بورنان

الجامعية: 1445-1446 / 2024-2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))

صدق الله العظيم.

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني في إنجاز هذا العمل ولا بد لي وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في الحياة الجامعية أن أقف وأعود إلى أعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع أساتذتي الكرام الذين قدموا لي الكثير لذا أقدم لهم كلمات الشكر والعرفان وأخص بالشكر الأستاذ "**سعيد زهار**" الذي حظيت بإشرافه وتقديره وعرفانا لكل ما قدمه لي في مشواري العلمي أتمنى له التوفيق والسداد والمزيد من الاستحقاقات.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر كذلك لأعضاء لجنة المناقشة على ما سيقدمونه لي من توجيهات ونصائح.

وإلى كل من قدم لي بعض النصائح، والتوجيهات وأخص بالذكر الأستاذ "**محمد دراج**" وإلى كل القائمين على مركز الأصالة للدراسات والبحوث.

وإلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد وكان سند لي في هذا المشوار الدراسي.

لكم ألف تحية وشكر.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا." الإسراء-23-

إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها، إلى من أشرقت الشمس بين يديها، إلى معنى الحب والحنان، إلى الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي، إلى أغلى الأحباب أُمي الحنونة "بوسيف فاطمة".

إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... إلى من جعله الله تاجا فوق رأسي، ستبقي كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد أبي الغالي "سعيد".

إلى سندي في هذه الحياة وإلى من تربيته معهم وتقاسمت معهم حلاوة ومرارة الدنيا أخواتي وإخوتي الأعزاء: "عبد القادر، محمد، الوناس، عبد النور، فضيلة، جقيقة، جميلة، وردية" وزوجة أخي "حسيبة".

إلى من فرقنا الحياة عنها لكن لم ننسها أختي الغالية "رشيدة" رحمها الله وأسكنها فسيح جناته.

إلى كل براعم عائلتي: "بلقاسم، سليمان، ياسين، عبد السلام، آدم، مريم، ديهية، أنس، ألاء، سيف الدين".

إلى جدتي الغالية حفظها الله وأطال الله بعمرها "عمراني وردية".

إلى الأرواح الغالية التي فارقتنا يوما وأحزننا رحيلهم: "جدي مسعودان سليمان، جدي بوسيف محمد، جدتي عمراني بابة" رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.

إلى كل رفيقات الدرب "رادية، عقيلة، فاطمة، كميلية، ليدية، سمر وأختيها نهاد وسيرين".
إلى من أحبه قلبي.

إلى الذين وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي. إلى كل هؤلاء أهدي عملي.

مقدمة

تعرضت بلدان المغرب الإسلامي إلى صراعات داخلية نتيجة التنافس الكبير بين الدول الثلاث: الحفصية والزيرية والمرينية، مما ضعفها وفتح الباب لمحاولات احتلال خارجية، خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في إسبانيا. فقد تضاعفت بعدها الهجرات الأندلسية إلى البلاد المغربية وأصبحت سواحل الحوض الغربي للمتوسط قاعدة إسلامية مهمة في استقبال المهاجرين. لتأتي الهجمة الصليبية على بلاد المغرب عموما والجزائر وتونس خصوصا. وفي هذا الوقت كان شرق البحر المتوسط مسرحا لانتصارات كبيرة حققها أربعة إخوة وصلت أصدأهم مسامع سكان مدينة الجزائر، مما جعلهم يرسلون الإخوة بربروس مستنجدين بهم لتخليصهم من الاحتلال الإسباني.

والوضع العام الذي عرفه المغربين الأوسط والأدنى، ساهم في بروز عدّة علاقات بين السلطة العثمانية والزعامات المحلية التي كانت متواجدة وقامت بتشكيل إمارات فيما بعد، والتي كانت تعيش حالة من التمزق والضعف. وهذا ما سيثجج الإسبان على احتلال المدن الساحلية للمغرب الأوسط. وبطبيعة الحال ستكون علاقات في وجهين بين الإخوة بربروس والقوى المحلية. علاقة تحالف ودعم للإخوة بربروس من أجل مواجهة الإسبان، وعلاقة خصام وتمرد ضد الإخوة بربروس بسبب تدخل الأيادي الخارجية وتضارب المصالح. وينصب موضوع دراستي على هذه العلاقات التي تشكلت بين الطرفين أي الإخوة بربروس والقوى المحلية المغربية في كل من المغربين الأوسط والأدنى.

وقد اخترنا القرن السادس عشر ميلادي كإطار زمني لموضوع دراستنا هذه، وذلك نظرا لأهمية هذه الفترة في تاريخ العلاقة بين السلطة العثمانية والزعامات المحلية، أما الإطار المكاني اخترنا منطقتي المغرب الأوسط والمغرب الأدنى.

وتكمن الأهمية التاريخية لهذه الدراسة في إبراز الأحداث التي شهدتها المغربان الأوسط والأدنى أثناء بداية التواجد العثماني في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن 16م. ودراسة التفاعل بين القوى المحلية والإخوة بربروس.

تهدف هذه الدراسة إلى الخوض في تفاصيل العلاقة بين السلطة العثمانية والقوى المحلية، في مرحلة تعتبر مهمة بالنسبة لتاريخ بلدان المغرب عامة، وتحليل خلفيات تلك العلاقات.

ولعل من أسباب اختياري لهذا الموضوع الدوافع الذاتية التي تتمثل في فضولي العلمي فيما يتعلق بالقوى المحلية التي ظهرت في هذه الفترة. أما الدوافع الموضوعية فيمكن إدراج التعرف على طبيعة العلاقة بين الإخوة بربروس والزعامات المحلية في الجزائر وتونس. وكذا الظروف التي جعلت من القوى المحلية تارة تتحالف مع الإخوة بربروس، وتارة أخرى تعلن العصيان والتمرد.

وحاولت في موضوعي هذا معالجة إشكالية تذبذب العلاقات بين السلطة العثمانية الممثلة بالإخوة بربروس والقوى المحلية المغاربية، وتحديد المسؤولية في تدهورها، فهل كانت بفعل سوء تدبير من الجانب العثماني؟ أو بفعل حسابات سلطوية ضيقة من جانب القوى المحلية؟

وللإلمام بتلك الإشكالية كان لابد من طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- لماذا إستند زعماء القوى المحلية بالإخوة بربروس؟.

- كيف كان رد فعل الزعامات المحلية على تواجد الإخوة بربروس بالمغرب الأوسط؟

-كيف كانت علاقة القوى المحلية بالإخوة بربروس؟

- ماهي تداعيات تلك العلاقات على الإخوة بربروس وعلى القوى المحلية؟.

إن طبيعة الموضوع فرضت علي اتباع عدة مناهج في البحث التاريخي العلمي، رأيت أنها الأنسب لمعالجة الإشكالية المطروحة. أولا اعتمدت المنهج التاريخي والوصفي باعتبارهما منهجان صالحان لوصف الأحداث والحقائق التاريخية. أما المنهج التحليلي الذي اعتمدت عليه فهو من أجل توضيح مواقف الزعامات المحلية من الوجود العثماني والأسباب التي أدت بها للتعامل سواء مع الإخوة بربروس أو مع الإسبان.

سمحت لنا المادة العلمية التي جمعناها حول الموضوع بتقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة متبوعة بمجموعة من الملاحق ذات الصلة بالموضوع، وتفصيلها كالتالي:

الفصل الأول بعنوان أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر ميلادي. والذي شمل ثلاث مباحث: أولا أوضاع الضفة الشمالية للمتوسط وتناولت فيه الأوضاع التي كانت سائدة بإسبانيا ونكبة الأندلس، ثانيا أوضاع الضفة الجنوبية للمتوسط وتطرق في فيه إلى أوضاع المغريين الأوسط والأدنى قبل الوجود العثماني من تشتت وضعف وكذا الاعتداءات الإسبانية على السواحل المغاربية، أما في المبحث الثالث فتطرق في فيه إلى النفوذ العثماني في غرب البحر المتوسط والبدايات الأولى لظهور الإخوة بربروس والتعريف بهؤلاء الإخوة.

أما الفصل الثاني المعنون بعلاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها. قسمناه إلى ثلاثة مباحث: أولا مرحلة الاتصالات الأولى مع الإخوة بربروس وأبرزت فيه أولى اتصالات أهل المغرب الأوسط بهؤلاء الإخوة والاستنجد بهم وإحقا الجزائر بالدولة العلية، ثم ثانيا مرحلة التعاون والتقارب وارتأيت أن أتطرق إلى دواعي ومظاهر التقارب والتحالف بين الإخوة بربروس والقوى المحلية، والمبحث الثالث جاء بعنوان مرحلة التنافر والصدام وأبرزت فيه الدواعي والمظاهر التي جعلت القوى المحلية تنمرّد ضد الإخوة بربروس.

أما الفصل الثالث بعنوان تداعيات العلاقات العثمانية مع القوى المحلية. والذي احتوى على مبحثين: أولا نتائج التقارب والتعاون العثماني مع القوى المحلية وذلك من خلال الاستقرار السياسي السائد وكذا التعاون العثماني المحلي في صد التحرشات الإسبانية، وثانيا نتائج التنافر والصدام العثماني مع القوى المحلية من خلال التطرق إلى الإضرابات السياسية السائدة واضمحلال القوى المحلية وأيضا التطرق للخianات والتحالفات المحلية مع الإسبان ضد الإخوة بربروس.

وقد استعنت في دراستي لهذا الموضوع بعدة مصادر ومراجع وفي مقدمتها المصادر الأساسية:

-مذكرات خير الدين بربروس ترجمة محمد دراج، وهو مصدر يروي الأحداث التي وقعت للأخوين بربروس قبل دخولهم مدينة الجزائر وبعده، متطرقا لأهم وأغلب الأحداث التي جرت في تلك الفترة خاصة سيرة نشاطهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

-مرمول كربخال "إفريقيا" جزئيه الثاني والثالث والذي استفدت منه كثيرا، حين تناولت أوضاع المغرب الأوسط، ويعدمن أهم المصادر الأجنبية المعربة.

أما فيما يتعلق بأهم المراجع التي ساعدتني في هذه الدراسة أذكر:

-كتاب الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م لصاحبه محمد دراج، والذي اعتمدت عليه في جميع الفصول، حيث يعتبر شامل لأهم الأحداث التي جرت في الحوض الغربي للمتوسط.

-كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م لصاحبه أحمد توفيق المدني، والذي يعتبر شامل لأهم الأحداث التي جرت في العصر الحديث في الجزائر. واستفدت منه في جميع الفصول. فقد تناول أوضاع الحوض الغربي للمتوسط، وكذا الاعتداءات الإسبانية على السواحل والنفوذ العثماني في المنطقة وظهور الإخوة، والعلاقات التي جمعت بين السلطة العثمانية والقوى المحلية.

-كتاب الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م لصالح عباد، حيث تكلم عن الأوضاع السائدة في مدينة الجزائر، وذكر تقريبا كل ما تعلق بالقبائل المحلية من صراعاتهم وتحالفاتهم بالسلطة العثمانية.

كما لم تخل هذه الدراسة من الاعتماد على بعض الأطروحات الجامعية وبعض المقالات المنشورة في المجالات والتي أثرت البحث بمادتها العلمية.

أما الصعوبات والعراقيل التي واجهتني، فكان أشدها بالنسبة لي تعرض بعض المراجع والمصادر بإسهاب أو شح حول مجرى الأحداث، واتساع المجال الجغرافي للبحث زاد من صعوبة

الأمر فهو يشمل كل من المغربين الأوسط والأدنى، وذلك لمدة تزيد عن قرن كامل أي القرن 16م، فقد كان علي تتبع تاريخ كل إمارة وإبراز موقفها. وكذا عدم تمكني من الاطلاع على المصادر الأجنبية مما أدى إلى عدم التعمق أكثر في الموضوع. ومما زاد من صعوبة المهمة هو تعرض أمي لوعكة صحية، وهذا ما جعلني أنشغل عن البحث والدراسة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أحمد الله حمدا كثيرا على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل الشاق، والذي أتمنى أن أكون قد وفقت فيه.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر ميلادي.

المبحث الأول: أوضاع الضفة الشمالية للمتوسط.

أولا: سقوط الأندلس وطرد الأندلسيين.

ثانيا: ظهور النزعة التوسعية الإسبانية الصليبية.

المبحث الثاني: أوضاع الضفة الجنوبية للمتوسط.

أولا: التشتت السياسي بعد سقوط الدولة الموحدية.

ثانيا: الاعتداءات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا.

المبحث الثالث: النفوذ العثماني في غرب البحر المتوسط وظهور الإخوة بربروس.

أولا: الوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط.

ثانيا: الإخوة بربروس بشمال إفريقيا.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

عرفت بلاد الغرب بعد انهيار سلطة الموحيدين انقساماً سياسياً وركوداً حضارياً، مما خلف انعكاسات كبرى على الأوضاع العامة للممالك الثلاثة عامة والحفصيين والزيانيين خاصة. وأمام ذلك تقوت الممالك الأوروبية، وبدأت في تهديد السواحل الشمالية للمغرب، ولولا تدخل وظهور الدولة العثمانية في شمال إفريقيا كقوة ضاربة لوقع المغرب مبكراً تحت السيطرة الأوروبية.

وقد عظم شأنها (الدولة العثمانية) حيث صار لها أسطول ضخم يغلب أقوى الأساطيل خاصة بعد بروز الإخوة بربروس (عروج، خير الدين، إسحاق، إلياس) الذين يعتبرون شخصيات محورية سيكون لها دور هام في توجيه سير الأحداث بمنطقة البحر المتوسط بما لهم من عبقرية أهلتهم لتبني خطط واضحة ومدرسة لتحركهم السياسي والعسكري، وساهموا في رفع شأن القوة البحرية العثمانية. ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بشمال إفريقيا والجزائر، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى أوضاع الضفة الشمالية والجنوبية للمتوسط عند مطلع القرن 16م، والوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط.

المبحث الأول: أوضاع الضفة الشمالية للمتوسط.

عرفت إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين تطورات سياسية هامة كان لها الأثر البالغ على مستقبلها خاصة، وأوروبا عامة. كما امتد هذا التأثير ليشمل منطقة بلاد المغرب الإسلامي كذلك⁽¹⁾. وفي هذا المبحث سوف نخرج إلى أوضاع إسبانيا مطلع القرن 16م، وسقوط الأندلس.

(1) - طاهر تومي، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، ص 15.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

أولاً: سقوط الأندلس وطرد الأندلسيين.

إن الروح الدينية الصليبية التي ميزت حروب الاسترجاع ضد المسلمين وطردهم من الأندلس، مكنت من وضع أسس وحدة سياسية منذ منتصف القرن 13م، بظهور مملكة البرتغال في الجزء الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية. ورغم التنافس والاختلاف بين مملكتي قشتالة التي كان هدفها القضاء على الوجود الإسلامي، والأراغون الساعية للسيطرة على المتوسط بإيجاد منفذ لها بالإستيلاء على برشلونة. حيث استولى جاك الأول الأراغوني على جزر البليار وفلانسيا، ثم السيطرة على إمارة نابولي بعد صراع طويل، على يد ألفونسو الخامس⁽¹⁾.

شهدت إسبانيا مع بداية القرن 16م، الزواج السياسي الذي حصل بين ملك أراغون فرديناند ومملكة قشتالة إيزابيلا، رغم أن هذا الزواج لم يدمج المملكتين معاً، فقد ظل لقب ملوك إسبانية موجوداً إلا أن هذا الزواج حقق وحدة إسبانية⁽²⁾، تمكن من خلالها الملكان من تنظيم السلطة، وكسب ولاء النبلاء، وتمكنا من إحكام القبضة على المؤسسة العسكرية التي صارت مرتبطة بالعرش مباشرة، كما أضحت إسبانيا أكثر قوة دولياً بعد الزواج، وتطورت في الحياة العلمية⁽³⁾. رغم الصعوبات التي اعترضتها باختلاف توجه بين المملكتين باستمرار بين مملكة فرديناند التي كرسّت إهتمامها على البحر المتوسط وإيطاليا بالخصوص، تحت تصرف ديبلوماسيين وسياسيين ذوي اتجاه تجاري، وبين مملكة إيزابيلا التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون لهم نظرة توسعية أكثر عدوانية⁽⁴⁾ منذ سقوط غرناطة 1492، آخر معقل للمسلمين في الأندلس على يد

(1) -نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص ص 14-15.

(2) -محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، 1969، ص 14.

(3) -مفيدة بن يوسف، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16-17م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 17.

(4) -نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 15.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

الإسبان⁽¹⁾. فبعد حصارها أكثر من عشر سنوات من طرف الملوك الكاثوليك بمساندة كل أوروبا المسيحية بالرجال والمال والسلاح وفرض البابا على المسيحيين ضريبة الصليبية وتنتهي الحرب بانتصار المسيحيين على المسلمين. واستسلمت غرناطة بعد حصار طويل في 2 جانفي 1492، وخرج ملكها أبو عبد الله الصغير يبكي وينوح⁽²⁾. وسلم مفتاحها إلى فرناندو الكاثوليكي وزوجته إيزابيلا، في المكان الذي لا يزال يسمى منذ ذلك اليوم زفرة الأندلسي الأخيرة⁽³⁾.

وبهذا أتمت إسبانيا وحدتها السياسية والجغرافية لينتهي بذلك تاريخ إسبانيا الإسلامي، ويبدأ تاريخ جديد لإسبانيا الكاثوليكية، وانتقل الصراع الإسلامي المسيحي من الأراضي الإسبانية إلى الأراضي المغاربية لأول مرة⁽⁴⁾، وكانت هذه الحرب امتداد للحرب مع المسلمين، تلك الحرب التي يطلق عليها الإسبان حرب الاسترداد⁽⁵⁾.

(1) - شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة أنجلوالمصرية، القاهرة، 1977، ص77.

(2) - نجيب دكاني، المرجع السابق، ص15.

(3) - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص55.

(4) - طاهر تومي، المرجع السابق، ص16.

°° حرب الاسترداد: هي الحروب التي أعلنتها إسبانيا على المسلمين في الأندلس بغية استعادتها منهم، ثم توسعت بعد ذلك لتشمل تنصير المسلمين في شمال إفريقيا كله. أنظر: محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص30.

(5) - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص13.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

ثانيا: ظهور النزعة التوسيعية الإسبانية الصليبية.

لقد ازدادت الرغبة في استعمار الشمال الإفريقي من قبل الإسبان بعد قضائهم على النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وبداية رحلتهم في تنصير المسلمين ومحاولتهم القضاء على المورسكيين⁽¹⁾.

فغداة الإستيلاء على غرناطة مباشرة في 1492م⁽²⁾، تعرض مسلمي الأندلس لشتى صنوف الاضطهاد والتنكيل. ما دفع الآلاف منهم للهجرة صوب بلدان المغرب، وكان المغرب الأوسط الحظ الأوفر من هذه الهجرة⁽³⁾. وهذا ما جعل إيزابيلا، ملكة قشتالة، وزوجة فرناندو الكاثوليكي، ملك الأراغون، تكلف المسمى لورينثودي باديليا، حاكم مدينة القلعة في الأندلس بمهمة سرية، تتمثل في استطلاع الأمور والمواقع في تلمسان للإعداد لإحتلالها، كبداية لإحتلال البلدان المغربية بل الإسلامية عامة. فاتجه لورينثو إلى تلمسان متنكرا بزي تاجر تلمساني، حيث بقي فيها أكثر من عام، ورجع بعدها بكل المعلومات الضرورية والمطلوبة لحملة الغزو⁽⁴⁾.

وبعده جندت الملكة إيزابيلا جيشا قوامه 12.000 جندي تحت قيادة الكونت دي تنديليا، الحاكم السابق لغرناطة. ولكن موت إيزابيلا سنة 1504 أوقف مؤقتا تنفيذ العملية وتركت وصية كتبت فيها مايلي: (إنه لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا، ولا إنهاء الصراع ضد الكفار من أجل العقيدة)⁽⁵⁾.

(1) حلقاسم صديقي، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519م، مجلة مشكلات الحضارة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 2020، ص3.

(2) - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص51.

(3) - Osama Mohamed Abu Nahel, The role of the Barbarossa brothers in extending the Ottoman influence in the central Maghreb (Algeria) (916-953AH/1510-1546AD), Journal of Human and Social Sciences (JHSS), Vol7, Issue8, 2023, p59.

(4) - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص51.

(5) - نفسه، ص ص51-55.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

هذه هي الأوضاع بالضفة الشمالية للمتوسط، وحدة وقوة وانتصار وعزم على التوسع، فكيف كان الأمر بالضفة الجنوبية؟ سنتعرف على ذلك في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: أوضاع الضفة الجنوبية للمتوسط.

مع أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م بدأت موازين القوى تختل في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إذ انتشر الضعف والتفكك في الكيانات السياسية في الشمال الإفريقي. وقد اتسم الحكم الزياني بالجزائر والحكم الحفصي في تونس بالضعف، وعاشت هاتين القوتين أوضاعا مزرية، وهذا ما سيتم الوقوف عنده في هذا المبحث.

أولا: التشتت السياسي بعد سقوط الدولة الموحدية.

شهد المغربين الأوسط والأدنى مع أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م أوضاعا متأزمة مليئة بالانقسامات والصراعات التي كانت سببا في الضعف والتقهقر، فتحت المجال لظهور قوى خارجية تتربص بالمنطقة وبالأخص الأوروبية والدولة العثمانية. ولهذا نخرج لتلك الأوضاع والبداية تكون بالمغرب الأوسط.

1/- أوضاع المغرب الأوسط.

أ/- الأوضاع السياسية:

بعدما حطمت إسبانيا آخر ممالك المسلمين ببلاد الأندلس في غرناطة سنة 1492م، كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها، وبينما كان الحاكم المسيحي يجمع صفوفه ويوحد قواه ويستعد للمعركة الحاسمة ضد الإسلام والمسلمين وبينما كانت أوروبا تضع الأسس المتينة لحضارة جديدة ونهضة اقتصادية، وتكتشف الاكتشافات العالمية⁽¹⁾، كانت أوضاع المغرب الإسلامي قد تأزمت بعد سقوط دولة الموحدين مما أدى إلى فقدان وحدته السياسية وانقسامه إلى ثلاث دويلات تقاسمت

(1)- داود ميم، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية "تنظيمه وعدته" (1518-1830)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، 2015-2016، ص12.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

إرث دولة الموحيدين⁽¹⁾ وهذه الدول ظلت تتنازع على السلطة وتحاول كل منهما أن توسع رقعتها على حساب جارتها⁽²⁾، وتبعثرت الدول إلى طويفات وسليطنات، كل عشيرة تقريبا نصبت من نفسها دويلة، همها التطاحن مع جارتها، التي لا تقل عنها تشنقا وتمزقا وضعفا⁽³⁾.

نجد دولة بني حفص (بالمغرب الأدنى)، ودولة بني مرين (بالمغرب الأقصى)، ودولة بني زيان (بالمغرب الأوسط)⁽⁴⁾، أما مدينة الجزائر موزعة بين بني زيان في تلمسان وبني حفص ثم سيطر عليها بنو زيان⁽⁵⁾، التي أسسها يغمراسن بن زيان واتخذت من تلمسان عاصمة لها⁽⁶⁾ عرفت الدولة الزيانية الكثير من الإضطرابات والتدخلات الأجنبية في شؤونها الداخلية من سلاطين الدول المجاورة لها حيث نجد المرينيين في المغرب الأقصى والحفصيين في تونس كان آخرها التعرض إلى الخطر الإسباني الذي تطور إلى التلاعب بمصيرها من أجل السيطرة عليها. ولقد وصلت مملكة بني زيان إلى درجة قصوى من الضغط بسبب النزاع الداخلي بين أمرائها على الحكم⁽⁷⁾.

وكان بعض القادة المحليين يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية⁽⁸⁾. ويصف المؤرخ فرناند بروديل حالة الشمال الإفريقي في مستهل القرن السادس عشر ميلادي ويقول: (لقد كان

(1)- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص11.

(2) - شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص26.

(3) - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص61.

4- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، صص 64-65.

5- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص12.

(6) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية السياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، ص28.

(7) - عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ / 1505-1792)، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص115.

(8) - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص46.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

الشمال الإفريقي مستودع الرجال الذين كانوا يهبون دائما لنجدة مسلمي الأندلس ضد الإسبان وذلك لغاية 1415م، وبعد انهيار مملكة غرناطة سنة 1492 طلب من عم الملك أبي عبد الله أن ينسحب بذويه إلى بلاد المغرب فتخرج الملك فرديناندو وإيزابيلا خشية أن يطلب الأندلسيين المدد من بلاد المغرب لكن خيمينيس الذي كان راهبا أقنعهما بأنه لا خطر من وراء طرده لأن حالة الإنشقاق والخلاف مستحكمة بين ملوك وأمرأ بلاد المغرب⁽¹⁾.

وهذه الأوضاع المتردية والفوضى السياسية كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية ونلمس هذا فيما كتبه "فرناندو دي زافرا" حيث قال: (إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة)⁽²⁾.

وهذا ما سهل على إسبانيا القيام بالأعمال الاستطلاعية والإسراع في احتلال أهم موانئ المغرب الأوسط وكذا التواصل مع ملوك تلمسان ومحاولة إقناعهم بالوقوف إلى جانبهم، وكانوا يشنون الغارات على تلمسان من حين إلى آخر من أجل إزاحة الأمراء المعادين لهم وتنصيب المستجيرين بهم⁽³⁾.

ب/- الأوضاع الاقتصادية:

بالرغم من الأوضاع السياسية السيئة التي كانت تعيشها الدولة الزيانية في مطلع القرن 16م، إلا أنها كانت تمثل مركزا تجاريا هاما ، حيث أن التجار كانوا يتزودون منها بمنتجات بلاد السودان ويرسلون سلعهم منها إلى ما وراء الصحراء عن طريق سجلماسة ، حيث كانت تلنقي قوافل المغرب الأوسط بقوافل المغرب الأقصى وتتجه جميعا إلى تنبكتو ثم إلى غانا وتخرج أخرى من سجلماسة إلى موريتانيا ثم السنغال ومالي وغانا وغينيا⁽⁴⁾، ولم تقتصر حركة

(1) داود ميمن، المرجع السابق، ص 12.

(2) -عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د ط، 2007، ص 12.

(3) - عبد القادر فكائر، الصراع الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره...، المرجع السابق، ص ص 118-119.

(4) محمد دراج، المرجع السابق، ص 92.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

تجار تلمسان على جهات الصحراء فقط، بل كانت وسيطة مع الأسواق الأوروبية عبر موانئ المرسى الكبير وميناء وهران وهنين^{٥٥}(1).

وكان التجار يحملون بضائعهم ويتاجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حيث يتاجرون بالعنبر والمسك وسنور الزباد ورقيق السود(2).

وكانت المملكة الزيانية فلاحية حيث كانت الفلاحة أهم منابع الثروة حيث نجد فيها فلاحه القمح والزيتون والشعير والقطن والكتان وقصب السكر وسائر الحبوب والثمار والفواكه والبقول(3).

أما التجارة فكانت التجارة المحلية بين المدن الداخلية، وكان النشاط الزراعي والصناعي أصابهما التدهور والركود بسبب الحروب الأهلية بين المتنازعين على العرش أو بين القبائل ولغياب السلطة وفقدانها السيطرة على قطاع الطرق جعلهم يسلبون التجار والمزارعين والصناع(4). أما التجارة الخارجية فقد توقفت مع مطلع القرن 16م بسبب سيطرة الإسبان على السواحل الجزائرية ثم سيطرة الأتراك على الجزائر(5).

^{٥٥} هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة وعبرة عن حصن ذي أهمية أمنية وتجارية تتواجد في سواحل تلمسان. أنظر:

رضوان زيرار، نصر الدين بن داود، الدور الاقتصادي لمدينة هنين خلال العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 8، العدد 3، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ديسمبر 2022، ص 92.

(1) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 92.

(2) - لمارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج 2، دار نشر المعرفة، الإسكندرية، 1988-1989، ص 300.

(3) - مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الملي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 483.

(4) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 68.

(5) - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، د ط، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 17.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

أما الصناعة فقد تأثرت بالحروب التي عرفتھا الدولة الزيانية في مرحلتھا الأخيرة بسبب انعدام الأمن من جهة وكثرة الغارات الإسبانية من جهة أخرى⁽¹⁾، فكانت تقتصر على صناعة الزرابي والنسيج والأقمشة وصناعة الفؤوس والخناجر وسروج الخيول والأواني الفخارية⁽²⁾. ونجد في بلاد القبائل من يحسن صناعة البارود لتوفر تلك المناطق على معادن ملح البارود ومعادن الحديد فكانت تصنع هناك السيوف والخناجر والرماح⁽³⁾.

ت/-الأوضاع الاجتماعية:

نجد البنية السكانية في المغرب الأوسط كانت تتألف أساسا من عنصرين أساسيين هما الأمازيغ والعرب الذين كانا على دين واحد هو الإسلام ومذهب متبع من غالبهما هو المذهب المالكي مما سهل الاندماج والانصهار بينهما لحد كبير⁽⁴⁾.

ويذكر حمدان خوجة في كتابه المرأة أن عدد سكان إيالة الجزائر كان عشرة ملايين نسمة، وكان هؤلاء السكان موزعين على المدن والقرى والأرياف⁽⁵⁾.

وعرفت الجزائر محنة المسلمين في الأندلس التي أدت إلى هجرات واسعة من شبه جزيرة إيبيريا إليها وكان المهاجرون من المسلمين ومن اليهود⁽⁶⁾. ونجد بعض القبائل المكونة للمجتمع نذكر قبيلة بني عبد الواد وبني راشد ومعزاوة وتوتجين وبنويفرن إضافة إلى بعض الأقليات اليهودية الموجودة منذ القدم كانوا يشتغلون بالفلاحة والصناعة والتجارة ومعظمهم متدينون

(1) - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، د منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص89.

(2) - لمارمول كربخال، ج2، المرجع السابق، ص 300.

(3) - نفسه، ص ص 374-375.

(4) - صباح بعارسية، أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر) في أوائل القرن السادس عشر، عصور الجديدة، العدد 24-25، صيف

– خريف (أكتوبر)، 1437-1438 هـ / 2016 م، ص 128.

(5) - صالح عباد، المرجع السابق، ص354.

(6) - نفسه، ص19.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

بالمذهب السني والمالكي والصوفي يتمتعون بثقافة وأخلاق حسنة (1). فالتوزيع السكاني لا يكون على أساس المناطق أو النواحي فقط وبين المدن والأرياف بل يكون على أساس عرقي فعلى الرغم من تعريب السكان وانتشار القبائل العربية ضمن محيط الدولة الزيانية فإن العنصر الأكثر انتشارا هو العنصر البربري ثم العربي وبعده المهاجرون الأندلسيون ومجموعة من الجاليات الأجنبية يهود ونصارى (2).

2/- أوضاع المغرب الأدنى:

لم تكن تونس مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م بمنأى من التحولات الحاصلة في الحوض الغربي للمتوسط، بداية من الصراع على السلطة على العرش الحفصي وتدهور حالتها العامة.

أ/- الأوضاع السياسية:

كانت الدولة الحفصية في مطلع القرن 16م، تمتد من طرابلس شرقا إلى قسنطينة غربا بعد أن اتخذت من مدينة تونس عاصمة لها (3)، وهذه الدولة فرضت نفوذها منذ 625هـ - 1227م واستمر حكمها حتى 982 هـ - 1574م. ومنذ العقد الأخير من القرن 15م ومطلع القرن 16م وتحديدا بعد وفاة السلطان الحفصي أبي عمر وعثمان بن محمد (839 - 893 هـ / 1435 - 1488م) اضطربت أحوال تونس فأصبح هناك انخفاض في قوة السلطة المركزية تحت ضغط البدو المتمردين بالتوازي مع إزدياد قوة العثمانيين وتزايد تنافس الأمراء على السلطة وكثرت الحروب (4).

(1) - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص85.

(2) - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ج3، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص10.

(3) - محمد دراج، المرجع السابق، ص73.

(4) - محمد رجب ذكي تمام، الأحوال الاجتماعية في تونس في القرن السادس عشر من خلال رؤية الرحالة الإسباني مارمول كربخال، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد46، عدد3، جزء2، جامعة الإسكندرية، جويلية2024، صص8-9.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

ولم تعد الدولة الحفصية متماسكة كما كانت من قبل إذ إستقلت عنها مناطق كثيرة وتعرضت الدولة الحفصية لهجمات القبائل العربية التي وصلت جماهيرها في كثير من الأحيان إلى أسوار مدينة تونس نفسها⁽¹⁾. أما الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم من أفضل جيوش إفريقيا الشمالية فقد أصبح عاجزا عن مقاتلة أي عدو بسبب قلة عدده وعدته، إذ كان يتشكل من المرتزقة النصارى والعبيد السود والأتراك⁽²⁾.

ب/-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

إن معظم مملكة تونس يغلب عليها طابع البادية، يسكنها تجمعات كبيرة من قبائل العرب والبربر، ورغم أعمال السلب والنهب على الدوام إلا أن تونس عرفت انسجاما سكانيا بإندماج القبائل العربية في المجتمع⁽³⁾. وكان الأهالي يحمون أنفسهم نظرا لعجز السلطة المركزية فكانوا يقيمون المنشآت الدفاعية يحتمون بها من هجمات البدو، وكان السكان يعيشون في أسوء مظاهر البؤس، ومن كان محظوظا يقوم ببيع الثياب الجلدية ودباغة جلود الأغنام وصباغ الأقمشة والصيد وبيع الفحم... الخ. أما أهالي مدينة تونس كانوا يحيون حياة أفضل حيث كان بها عدد كبير من التجار والصناع وكونها تونس عاصمة الدولة⁽⁴⁾. وضعف اقتصاد المدن المركز على استخدام النفوذ وتأزمت مجتمعاتها وحرمت الدولة الحفصية من الموارد الخارجية، التي كانت تحصل عليها من التجارة أو القرصنة وأعوزتها مؤازرة المجتمعات الحضرية التي كانت

(1) -سمير مشوشة، البلاد التونسية بين التقارب الحفصي والإسباني والرغبة العثمانية في تجسيد مشروع العثمنة ببلاد المغرب خلال القرن 16م، مجلة عصور، تصنيف ج، المجلد 23، العدد 1، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، جوان 2024، ص 168.

(2) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 75.

(3) - محمد رجب ذكي، المرجع السابق، ص ص 77-78.

(4) - محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 77-78.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

حليفها الطبيعي وركزتها الأساسية. وبذلك انحلت هذه الدولة وفقدت القدرة على ردع القوى المتمثلة في قبائل المناطق الداخلية⁽¹⁾.

وبالرغم من ظروف الفقر الشديد والتدهور الشامل للأوضاع الاجتماعية فإن السلاطين كانوا يرهقون الرعايا بمزيد من الضرائب والغرامات⁽²⁾، وكان السلطان الحسن بن محمد منشغلاً باللهو والخمر مهملاً أمور الملك⁽³⁾.

تلك كانت أوضاع المتوسط أوائل القرن السادس عشر، أي قبيل زحف الأتراك العثمانيين وضمهم البلاد العربية باستثناء مراكش إلى إمبراطوريتهم⁽⁴⁾.

تلك الأوضاع التي فتحت شهية الأطماع الأوروبية بالخصوص الإسبانية والتي ستكون موضوع المطلب الموالي.

ثانياً: الاعتداءات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا.

بدأت إسبانيا تنهياً لاحتلال المناطق الساحلية الاستراتيجية لبلدان المغرب الإسلامي⁽⁵⁾. وشرعت في إعداد خطة الغزو باستهداف العديد من المدن الساحلية الجزائرية والبداية كانت بالمرسى الكبير.

(1) - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعليق محمد شاوش ومحمد

عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 64.

(2) - محمد دراج، المرجع السابق، ص79.

(3) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 229.

(4) - إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص27.

(5) - شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص ص77-78.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

احتلال المرسى الكبير:

بدأت إسبانيا بإنزال حملاتها على سواحل المغرب الأوسط وخاصة ميناء المرسى الكبير^{٥٥} في غرب الجزائر عام 1505⁽¹⁾ وذلك نظرا لحسن موقعه وصلاحيته الميناء لرسو السفن وبالإضافة أنه كان مأوى للتجار من مسلمي الأندلس المطرودين⁽²⁾. ونظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الرباني"⁽³⁾.

اتجه الأسطول الإسباني إلى مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505، وكان يقوده دون رايموند دي قرطبة، بجيش قوامه خمسة آلاف رجل، فوصل الأسطول يوم 11 سبتمبر بعد أن تأخر بسبب الرياح فظن المجاهدين أن العدو قد قرر العدول عن الهجوم فتفرقوا⁽⁴⁾ فلم تكن الحامية الصغيرة المتبقية تستطيع صد الجند ومنعهم من النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية. فاستمرت المعركة ثلاث أيام متواصلة⁽⁵⁾. وتمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير في سنة 23 أكتوبر 1505 بعد حصار دام خمسين يوما، ودخلوا المدينة وشرعوا في سلبها ونهبها⁽⁶⁾.

^{٥٥}المرسى الكبير: مدينة بناها الرومان على هيئة قلعة محصنة على ساحل البحر وعلى فرسخ من وهران ومن جهة الغرب، مرساها أجمل من مراسي إفريقيا وأعظمها يتسع لعدد كبير من السفن. أنظر: لمارمول كربخال، ج2، المرجع السابق، ص327.

(1)-زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010-2014، ص175.

(2) -شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص81.

(3)-عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص15.

(4) -أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص96-97.

(5)-عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1830-1547م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ الحيث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2018-2019، ص ص7-8.

(6)-مبارك بن محمد الملي، ج2، المرجع السابق، ص488.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

وبعدما تمكن الإسبان من احتلال القلعة استطاعوا فرض سيطرتهم على المدينة وشرعوا في تحويل المساجد إلى كنائس وكذا ترميم الأسوار وجلب المؤن اللازمة لأفراد الحامية⁽¹⁾.

وبعد المرسى الكبير جاء دور مدينة وهران.

احتلال وهران:

بعد الإستيلاء على المرسى الكبير إتجهت أنظار القادة الإسبانيين إلى وهران، ففي 20 أوت 1508، عين الملك الإسباني فرديناند، الكاردينال خيمينيس قائدا عاما على الحملة الموجهة لاحتلال وهران⁽²⁾، فأقلع الأسطول يوم 16 ماي 1509 الذي كان يتألف من عشرة الاف من المشاة وأربعة الاف حصان وثمانمائة متطوع⁽³⁾، ووصل في 19 ماي 1509 وتمكن من دخول وهران بفضل مساعدة بعض اليهود وعلى رأسهم "سطورة" الذي فتح لهم أحد أبواب المدينة، وأطلق الأهالي على القلعة التي تحمي مدخل المدينة اسم "برج اليهود"⁽⁴⁾، وتوغل الإسبان داخل مدينة وهران وقاموا بقتل كل من يجدونه أمامهم من سكانها ومخربين معالم المدينة وتحويل مساجدها إلى كنائس حيث أصبح المسجد الأعظم كاتدرائية⁽⁵⁾. وتواصلت الاعتداءات الإسبانية بالتوجه نحو مدينة بجاية.

احتلال بجاية:

أخذت إسبانيا المشبعة بالحقد المسيحي والدهاء السياسي بعد احتلالها للمرسى الكبير ووهران تستولي على سواحل المغرب الأوسط فكان أن وجهت أنظارها هذه المرة إلى الناحية

(1)- عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 16/10م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 64.

(2) -محمد دراج، المرجع السابق، ص 101.

(3)- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره...، المرجع السابق، ص 54.

(4) -صالح عباد، المرجع السابق، ص 30.

(5)- عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص 72-73.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

الشرقية فاحتلت بجاية^{٥٥} العاصمة الثانية للحفصيين (1)، بجاية التي كانت تخضع للأمير حفصي تابع لإمارة قسنطينة الحفصية يدعى عبد الرحمان وينافسه في الحكم أخوه عبد الله (2)، وذلك لجعلها قاعدة انطلاق لإحتلال عنابة وتونس ولتسهيل عليهم التحكم في مضيق صقلية، وقطع الطريق على العثمانيين لمنعهم من الوصول إلى غرب البحر المتوسط. ووصل الأسطول الإسباني المكون من عشرين سفينة ومئة ألف مقاتل إلى بجاية يوم 5 جانفي 1510، إلا أن سكان المدينة كانوا على استعداد لمواجهة الإسبان فأخذت مدافع بجاية والمدافع الإسبانية تتضارب لكن لم يمضي وقت قصير حتى تمكن الإسبان من الانتصار وإنزال قواتهم إلى البر (3).

وبعدها بدأ الإسبان بتدمير المدينة ودعوا سكانها الفارين للعودة مقابل شروط معينة وهي دفع ضريبة بانتظام والتكفل بمؤونة الحامية (4).

بعد احتلال الإسبان لأهم المدن الساحلية للمغرب الأوسط سارعت المدن الساحلية الأخرى لطلب الصلح وإعلان الطاعة والخضوع للقوات الإسبانية (5)، فبسبب الهجمات الإسبانية والعنف أحس سكان مدينة الجزائر بالخطر وتوجسوا من أن يهاجمهم الإسبان بين الحين والآخر، فذهب حاكم مدينة الجزائر شخصيا لإعلان خضوعه وطاعته لملك إسبانيا برفقة مولاي عبد الله حاكم

^{٥٥} بجاية: أسسها الفينيقيون وسموها صلدة، ثم احتلها الرومان ودعوها صلداي، وخربها بعد ذلك الوندال إلى أن جدها الناصر الحمادي عام 1076 ودعاها الناصرية، ثم سميت بجاية باسم قبيلة بربرية حولها وقد ورثت بجاية حضارة قلعة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة سلطنتهم واستمرت أهميتها طوال حكم الموحدين فالحفصيين إلى أن احتلها الإسبان وخربوها. أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 50.

(1) - أسماء ابلاي، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10/16م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2،

جامعة غرداية، الجزائر، 2017، ص 45.

(2) - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 9.

(3) - محمد دراج، المرجع السابق، ص 105.

(4) - صالح عباد، المرجع السابق، ص 33.

(5) - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 10.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

مدينة تنس والذي أعلن بدوره خضوعه وطاعته وذلك سنة 1511م⁽¹⁾. وعند عقد الصلح اتفق الطرفان على أن يسلم الأهالي أكبر جزرهم الصخرية التي يدعوها البكري "اسطفلة" للإسبان، كما عقدوا صلحا لمدة عشر سنوات على أن يؤديوا جزية سنوية. وبمجرد إمضاء الاتفاق أرسل الإسبان مهندسين عسكريين من أجل الإشراف على بناء القلعة البحرية التي تدعى البينيون⁽²⁾، من أجل التضييق على المدينة وتفتيش الصادرات والواردات من مينائها وقطع الصلات بين الجزائر وغيرهم⁽³⁾.

كما استطاع الإسبان إخضاع موانئ جزائرية أخرى مثل: تنس وشرشال ودلس، فلم يتعرض لهذه الموانئ لأن أعيانها عرضوا على الإسبان دفع ضريبة إبقاء شرهم⁽⁴⁾. مع تزايد الخطر الإسباني بالحوض الغربي للمتوسط والأحداث المؤلمة التي يعيشها المسلمون بالأندلس بدأ يلوح في الأفق النفوذ العثماني البحري وكذلك نشاط الإخوة بربروس والذي سنتناوله فيما يلي.

المبحث الثالث: النفوذ العثماني في غرب البحر المتوسط وظهور الإخوة بربروس.

بسبب الأوضاع التي حدثت في الحوض الغربي للمتوسط من جراء محنة الأندلس والتحرش الإسباني به. كان الأمر يوحي في البداية أن بلاد المغرب ستخضع لحكم إسباني مباشر دون عناء كبير، إلا أن ظهور جماعة من البحارة الأتراك العثمانيين في المنطقة، أدى إلى تغير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى. وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث والبدء تكون بالوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط ثم ظهور الإخوة بربروس في المنطقة.

(1)- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 10-11.

⁽²⁾ البينيون: سمي هكذا نسبة إلى الصخور التي بني عليها، تبعد عن مدينة الجزائر 300 متر وبنيت على شكل مثنى وحصنت بحصنين وكان يتواجد بها 200 جندي. أنظر: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 24.

(2) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 127.

(3) - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 11.

(4) - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 83.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

أولاً: الوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط.

كانت الدولة العثمانية تشغل حيزاً كبيراً في تاريخ العالم الإسلامي أو تاريخ العالم الأوروبي المسيحي امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا. وكانت تعتبر جيوشها من أكثر الجيوش الأوروبية عدداً وأحسنها تدريباً وأعظمها تسليحاً وأكملها تنظيماً⁽¹⁾. وأصبحت الدولة العلية متألقة ونورها ساطع في بلاد المشرق الإسلامي ونمت في أوروبا في الأناضول ثم تدفقت سيلاً إسلامياً عارماً على ما يليها من أقطار أوروبا وإفريقيا وآسيا⁽²⁾.

ارتبط التوسع العثماني في الجناح الغربي من العالم العربي بالحملات والغارات التي شنها الإسبان على المسلمين في شمال إفريقيا. كما ارتبط الصراع بين الإسلام والمسيحية في الحوض الغربي من البحر المتوسط⁽³⁾، ويرتبط الوجود التركي عموماً، والعثماني خصوصاً في غرب البحر المتوسط بقضية المسلمين في الأندلس. عندما طلب أهالي الأندلس المساعدة من السلطان العثماني بايزيد الثاني لحمايتهم مما يتعرضون له من ضغط وإرهاب مسيحي، قام بإرسال البحار كمال رئيس⁽⁴⁾، ووصل أسطول لمساعدة المسلمين من الإسبان⁽⁵⁾، وقام بتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية وجنوب فرنسا وسردينيا وكورسيكا ومالطا وقام بنقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى الأراضي العثمانية في الأناضول. بعده أعاد الكرة وأغار على سواحل إسبانيا في 1510م وقد رافقه بيري رئيس⁽⁶⁾. وكان كمال رئيس يعمل في غرب البحر المتوسط

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص9.

(2) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص56.

(3) - إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص61.

(4) - محمد دراج، المرجع السابق، ص162.

(5) - سنيقولاوي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، ترجمة يوسف عطا الله، تقديم مسعود ضاهر، ط1، دار الفارابي، لبنان، بيروت، 1988، ص95.

(6) - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية، شركة الأمانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص33.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

قبل أن يعرض عليه السلطان بايزيد الدخول في خدمته، واتخذ بيري رئيس من جزيرة جربة قاعدة له ينطلق منها للإغارة على السواحل والجزر الأوروبية، كما أغار على بجاية وعنابة ومنها على السواحل الفرنسية وجزر البليار⁽¹⁾.

وقد اشتهر البحارة الأتراك بين الأهالي في غرب البحر المتوسط سواء في شمال إفريقيا، أو في الأندلس قبل التدخل العثماني الرسمي لدعم مسلمي الأندلس ومن الذين لمعوا قبل وصول آل بربروس إلى غرب البحر المتوسط نجد: براق رئيس، وكورت أغلو، وسانان رئيس، وبيري رئيس ... وغيرهم⁽²⁾.

وكان هؤلاء البحارة يجوبون البحر بمبادرات فردية ويقومون خلالها بأعمال القرصنة على سواحل تارة، ومناصرة الأندلسيين والدفاع عن الحوض الغربي للمتوسط من هجمات الاسبان ولقد كان هؤلاء المغامرون يعتبرون في نظر المسلمين أبطالا وطنيين وفي نظر خصومهم قراصنة بحار لا يخضعون لأي قانون أو نظام⁽³⁾.

وكان مجيء العثمانيين بمثابة نجدة أنقذت شمالي أفريقيا من الغزو الأوروبي وعملت على توحيد البلاد سياسيا، وقد رحبت معظم طبقات السكان بمجيء العثمانيين، فلم يعتبروا دخولهم في حظيرة الدولة العثمانية احتلالا أجنبيا. ولم تمد الدولة العثمانية نفوذها إلى تونس والجزائر بواسطة غزو عسكري أو تدخل مباشر من حكومة الأستانة كما حدث في مصر، بل جاء تدخل الدولة نتيجة لاشتداد الصراع بين الإسلام والمسيحية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن السادس عشر. وقد اجتذب هذا الصراع عددا من البحارة المغامرين الذين نشأوا في

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص163.

(2) نفسه، ص163.

(3) - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو

المصرية، 1993، ص18.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

خدمة أسطول الدولة العثمانية ثم كونوا أساطيل صغيرة وعملوا لحسابهم الخاص وجاهدوا ضد أعداء الدين⁽¹⁾. واندمجوا مع الأندلسيين وسكان المغرب في مقاومة الغزو المسيحي⁽²⁾. وفي الواقع فالتدخل العثماني في المغرب الإسلامي لم يكن متوقعا أبدا أوفي حسابان أحد بما في ذلك الدولة العثمانية نفسها، فمنذ أوائل القرن السادس عشر توزعت اهتماماتها في اتجاهات متعددة بل حكمت الأمر الظروف السائدة في المغرب الإسلامي بعد غزوات الإسبان المتكررة على سواحلها⁽³⁾.

ثانيا: الإخوة بربروس بشمال إفريقيا:

لقد ظهرت شخصيات لامعة في التاريخ الحديث ساهمت بشكل فعال ومباشر في الصراع البحري بين القوى الإسلامية والقوى المسيحية في البحر المتوسط ومن بين تلك الشخصيات نجد الإخوة بربروس، فمن هم هؤلاء الإخوة؟ هم أربعة وعلى رأسهم عروج راييس.

أ/- عروج راييس (1470-1518):

هو الأخ الثاني من عائلة بربروس بعد إسحاق رئيس لعب دورا أساسيا في تمهيد الطريق لأخيه خير الدين من بعد في بسط نفوذ الدولة العثمانية بالجزائر⁽⁴⁾. اسمه "عروج" أو "أوروج

(1) - تيسيرجبارة، تاريخ الدول العثمانية (1280-1924م)، جامعة القدس المفتوحة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، فلسطين، 2015، ص ص 128-129.

(2) - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 17.

(3) - بلقاسم صديقي، المرجع السابق، ص 6.

(4) - خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 229.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

" مأخوذة من حادثة الإسراء والمعراج الذي يرجح أنه ولد ليلتها، فالترك ينطقونه "أوروج" والعرب ينطقونه "عروج"(1).

كان رفاقه يدعونه باسم عروج بابا على سبيل الاحترام ولد سنة 1470 بجزيرة مديلي ° التي استقر بها والده يعقوب فبعد أن تمكن السلطان الفاتح من فتح جزيرة مديلي سنة 1457، أمر بإبقاء حامية عسكرية بها ومعظم الذين بقوا فيها كان أصلهم من الأناضول والروم، فانفصلت هذه الحامية عن الجيش، وكان من بينهم يعقوب وهو شاب من الروميلي من فرقة الخيالة ولم يكن في الجزيرة إسلام(2). وهناك من يقول بأن أباه كان مسيحياً يدعى جاكوب وهو اسم لا يزال يستخدم على نطاق واسع بين الإغريق(3). في حين يشير خير الدين في مذكراته أن أباه كان من أحد المستوطنين الأوائل ابن لأحد فرسان السباهية وكانت له أرض إقطاع وهبها له السلطان محمد الفاتح عندما استقر بالجزيرة(4).

أما أمه فيحيط بها غموض ربما كانت بنتا لأحد الرهبان الإغريق أو امرأة أندلسية أسرها يعقوب في البحر(5)، وذكر خير الدين في مذكراته أن أباه يعقوب تزوج من إحدى بنات جزيرة

(1) - علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001، ص 207.

° مديلي: جزيرة يونانية فتحها السلطان محمد الفاتح سنة 1457م، وأمر بإبقاء حامية عسكرية فيها، وكلفها بالمحافظة على القلعة. أنظر: عزيز سامح التتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 27.

(2) - عزيز سامح التتر، المرجع السابق، ص 27.

(3) - سفراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 9.

(4) - خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 31.

(5) - وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 38.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

ميدللي المسيحيات بعد إستقراره بها⁽¹⁾، فأنجبت له أربعة أطفال أكبرهم إسحاق ويلييه عروج ثم خضر وآخرهم إلياس⁽²⁾.

حرص الأب على تنشئة أبنائه نشأة إسلامية صلبة، وقد إختار الإبن الأكبر طريق العلم والمعرفة فمضى في دراساته الإسلامية، في حين إنصرف بقية الإخوة للجهاد، واختاروا البحر ميداناً لهم. فكان عروج هو الذي فتح المجال أمام إخوته إذ أنه ركب البحر ولم يتجاوز العاشرة من عمره⁽³⁾. وكان هو وأخوه خير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في جزر اليونان بواسطة بعض المراكب⁽⁴⁾. إشتغل في البداية بالتجارة وكان ينتقل بين سلانيك °° وأغريبوز °° ويجلب منها البضاعة ويبيعها في ميدللي إلا أنه لم يقتنع بهذه الأسفار القريبة إذ كان يرغب في الذهاب إلى طرابلس والشام ثم غادر هو وأخيه إلياس إلى طرابلس⁽⁵⁾، وإشتغل مع أخيه إلياس في التجارة البحرية بين مصر والشام وطرابلس والأناضول وهناك لفت إنتباه الأمير قرقود °°⁽⁶⁾.

(1) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 141.

(2) - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 27.

(3) - بسام العسلي، خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 27.

(4) - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 27.

°° سلانيك: هي منطقة كانت خاضعة للإدارة العثمانية، وتقع اليوم ضمن الأراضي اليونانية. أنظر: خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 31.

°° أغريبوز: هي منطقة خاضعة للإدارة العثمانية خلال تلك الفترة، وهي تابعة اليوم لليونان. أنظر: نفسه، ص 32.

(5) - نفسه، ص 32.

°° الأمير قرقود: هو الابن الثالث للسلطان بايزيد الثاني، كان أكبر من السلطان سليم الأول اشتهر بحمايته للبحارين الأتراك أعدمه السلطان سليم الأول بعد جلوسه على عرش السلطة. أنظر: خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 39.

(6) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 141.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

وفي أحد أسفاره التجارية إلى طرابلس الغرب إعترض طريقه قراصنة جزيرة رودس^{٥٥}(1)، فألقي القبض عليه من طرف فرسان القديس يوحنا فقتلوا أخوه إلياس. أما هو فقد أسر وعمل كمجدف، إلى أن تمكن من الفرار(2)، واتجه نحو ميدللي فبلغ أنطاليا خلال ثلاثة أيام(3). وهناك التقى بشخص اسمه "علي رئيس" وعمل مساعدا له حيث استأنف رحلاته إلى الإسكندرية، وهناك قبل عرض السلطان المملوكي قانصو الغوري بالدخول في خدمته، فجعله على رأس أسطول صغير وأمره ببناء أسطول من أربعين سفينة لمواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي. ونظرا لعدم وجود الأخشاب التي تستعمل في بناء السفن توجه إلى ميناء باياس الذي كان تابعا للمماليك في هذه الفترة(4)، غير أن الروديسيون علموا بمجيئه وقاموا بالإغارة عليه لكن تمكن من الانسحاب برجاله إلى البر، وخبروا له ستة عشرة سفينة. وبعدها ترك عروج خدمة السلطان الذي اقترح عليه قيادة الأسطول المملوكي المتوجه إلى المحيط الهندي لمواجهة البرتغاليين، لكنه رفض وأخبره أنه لا يستطيع العمل خارج مياه البحر المتوسط(5). عاد عروج ثانية إلى أنطاليا وهناك أعطاه الأمير قرقود سفينة تتسع لثمانية عشر مقعدا وأغار بها معظم جزر رودس، ودب الرعب في معظم الجزر فشكى سكانها أمرهم إلى سيد رودس الذي أمر بملاحقة عروج وأغاروا على سفينته وفر عروج ورفاقه إلى اليابسة. ثم اتجه عروج مرة ثانية إلى الأمير قرقود المتواجد في منيسا والتقى بصديق السلطان ييالي بك وهو الذي شرح

^{٥٥} جزيرة رودس: جزيرة في البحر، وهي من الثغور الشامية أو الجزرية، افتتحها جنادة بن أبي أمية عنوة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. أنظر: محمد لعباسي، رحلة عروج إلى المغرب الإسلامي من خلال مخطوط "خبر قدوم عروج إلى الجزائر وأخيه خير الدين"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص187.

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص142.

(2) - جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص28.

(3) - خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص42.

(4) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص142.

(5)- نفسه، ص ص 142-143.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

للسلطان قرقود ماحل بعروج فأعطاه سفينة أخرى مؤلفة من أربعة وعشرين مقعداً، كما وضع ببالي بك سفينته الخاصة تحت تصرف عروج وأوصاه بعدم الاقتراب من بلاد الروم وترك الديار الأوربية⁽¹⁾، فتوجه عروج إلى السواحل اليونانية، فأغار عليها واستولى على سفينتين تجاريتين تابعتين للبندقية وحصل على كميات كبيرة من الأموال المختلفة وأخذ 285 أسير⁽²⁾.

ثم عاد إلى ميدللي فلقى أخويه إسحاق وخير الدين واستقبلاه فقد مضى وقت طويل على مغادرة عروج ميدللي، ثم بعدها عزم على المغادرة إلى إزمير لمقابلة الأمير قرقود لكنه بلغه خبر جلوس السلطان سليم خان على العرش وإعدامه لأخيه قرقود، فأجبر على الاتجاه نحو الإسكندرية خيفة من أن يصيبه ضرر كون السفينة التي لديه من إحسان الأمير قرقود⁽³⁾.

ولما دخل عروج مصر وجه بهدية عظيمة إلى سلطانها واستأذنه في الإقامة عندهم فقبل السلطان شريطة ألا يتعرض عروج للسفن المصرية، وقضى هذا الأخير فصل الشتاء في مصر، ثم بعدها اتجه نحو بلاد الأندلس لغزو النصارى فغنم في سفره وأثناء عودته إلى مصر ألقته الرياح في جزيرة جربة^{°°} فأودع فيها غنائمه ثم رجع لغزو بلاد النصارى مرة أخرى، وانتصر ورجع إلى مدينة تونس. ولما دخلها قدم هدية إلى سلطانها الحفصي واستأذنه في الإقامة⁽⁴⁾. فقبل السلطان الحفصي وذلك بعد أن عقد اتفاقاً معه ينص على منحه جزيرة جربة ليتخذها قاعدة لأسطوله مقابل مشاركته بخمس الغنائم وسمى عروج نفسه قائد الجزيرة⁽⁵⁾.

(1) - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص33.

(2) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس ...، المرجع السابق، ص144.

(3) - خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص ص48-49.

°° جزيرة جربة: هي جزيرة مجاورة لليابسة رملية يكثر فيها النخل والكرم والزيتون والعديد من الأشجار المثمرة، كانت تحت حكم ملك تونس. أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص93-94.

(4) - محمد لعباسي، المرجع السابق، ص184.

(5) - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص24.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

استشهد سنة 1518 عن عمر يناهز خمسة وأربعون سنة⁽¹⁾.

وقد عرف عروج لدى خصومه المسيحيين باسم بربروس لكونه كانت له لحية حمراء⁽²⁾.

ب/-خير الدين بربروس(1472-1543):

كان اسمه خضر وأطلق عليه السلطان سليم الأول لقب "خير الدين" ولد في حدود 1472 بجزيرة ميدالي بعد أخيه عروج، اشتغل بالتجارة في مطلع شبابه إذ كان لديه سفينة يتاجر بها بين سيلانيك وأغريبوز⁽³⁾، كُني باسم بربروسا⁽⁴⁾.

لحق بأخيه عروج في جربة وشرعوا في القيام بمحاربة البحارة المسيحيين وممارسة عمل التجارة الذي يساعدهم على تقوية أسطولهم وتموين بحارتهم، وذلك بعد أن اتفقا مع السلطان الحفصي على أن يمنحهما ميناء حلق الوادي عام 1504م ليجعلوا منه قاعدة لهما مقابل أن يدفعوا له خمس الغنائم التي يحوزان عليها في البحار ضد القراصنة المسيحية⁽⁵⁾. أما بالنسبة لشخصيته فهي شخصية لامعة غريبة تكاد تكون فذة لا في زمانها، ولا محيطها فقط، بل في كل الأزمنة المتأخرة من التاريخ الإسلامي⁽⁶⁾.

توفي عن عمر يناهز 63 سنة ودفن في مدينة بقطاش على ضفة البوسفور⁽⁷⁾.

(1) - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 24.

(2) - يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830 ويليه المراسلات الجزائرية الإسبانية في

أرشيف التاريخ الوطني لمدرید (1780-1789)، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص 34.

(3) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 152.

(4) - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، المرجع السابق، ص 83.

(5) - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 34.

(6) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 203.

(7) - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، المرجع السابق، ص 83.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

ت/- إسحاق رئيس (... - 1518):

هو الأخ الأكبر من عائلة بربروس ولد بجزيرة ميدلي، لايعرف بالضبط تاريخ ميلاده⁽¹⁾. اشتغل بالتجارة وأقام في ميدلي حيث استقر⁽²⁾.

لحق بأخويه عروج وخير الدين في تونس وإشترك معهم في الكثير من المعارك البحرية التي خاضوها في عرض سواحل البحر المتوسط كلفه عروج بالإستيلاء على قلعة بني راشد لكنه قتل أثناء حصار الإسبان للقلعة في 1518⁽³⁾.

ث/- إلياس رئيس (1474 - ...):

هو الأخ الأصغر في عائلة الإخوة بربروس، لا يوجد معلومات تتعلق بتاريخ مولده، كان يشتغل بالتجارة وكان يرافق أخاه عروج في رحلاته التجارية⁽⁴⁾.

قتل على يد فرسان القديس يوحنا بعد إعتراضهم لسفينة عروج الذي أخذ فيها هذا الأخير أسيرا⁽⁵⁾.

(1) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص157.

(2) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب، تسنيم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017، ص84.

(3) - خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص31.

(4) - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص161.

(5) - خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص32.

الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.

استنتاج:

إن تطور الأحداث في نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، أفرز وضعاً جديداً تمثل في اختلال التوازن بين صفتي البحر المتوسط. إذ شهد الحوض الغربي للمتوسط وجود قوتين كانت الأولى إسبانيا إذ توحدت من خلال الزواج السياسي فظهرت كقوة في الضفة الشمالية للمتوسط، وتمكنت من القضاء على مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة 1492م، الذي أدى إلى تطلعها للضفة الجنوبية للمتوسط. مستغلة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبسط نفوذهم الاستعماري في المنطقة. فاحتلت المدن الساحلية ذات المواقع الاستراتيجية، ليصبح الحوض الغربي للمتوسط تحت سيطرتها.

وفي المقابل ظهرت الدولة العثمانية كقوة ثانية سعت لإنقاذ مسلمي الأندلس من الخطر الإسباني بقيادة الإخوة بربروس الذين ذاع صيتهم آنذاك لما قدموه من بطولات مع الأندلسيين الفارين من بطش الإسبان.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

المبحث الأول: مرحلة الاتصالات الأولى.

أولاً: اتصال أهل المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.

ثانياً: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية.

المبحث الثاني: مرحلة التعاون والتقارب.

أولاً: دواعي التحالف والتقارب.

ثانياً: مظاهر التقارب والتحالف.

المبحث الثالث: مرحلة التنافر والصدام.

أولاً: دواعي التنافر والصدام.

ثانياً: مظاهر التنافر والصدام.

تشير معظم الدراسات الخاصة بالتاريخ الحديث أي الفترة العثمانية أن المغرب الإسلامي كان يعاني من الاحتلال الإسباني. وهذا ما جعل سكان الحوض الغربي للمتوسط يستنجدون بالإخوة بربروس. ويظهر بعدها أن أهم ما ميز المرحلة الأولى من الدخول العثماني إلى المغربين الأوسط والأدنى، هو ظهور وتصاعد الثورات وحركات التمرد التي قادها الزعماء المحليون، وظهور علاقة بين الإخوة بربروس والزعامات المحلية. وفي هذا الفصل سنتناول مرحلة الاتصالات الأولى بالإخوة بربروس، وأهم القوى المحلية التي ظهرت بالمغرب الأوسط والمغرب الأدنى خلال القرن 16م وتطور تلك العلاقات بالسلطة العثمانية.

المبحث الأول: مرحلة الاتصالات الأولى.

قبل دخول العثمانيين إلى المغرب الأوسط، كانت البلاد تعاني من الاحتلال الإسباني، ومن الجهة الأخرى ذاع صيت الإخوة بربروس، وهذا ما جعل أهل المغرب الأوسط يستنجدون بالإخوة بربروس.

أولاً: اتصال أهل المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.

لقد استغل الإسبان حالة التفكك التي رانت على المغرب الإسلامي، بعد سقوط غرناطة سنة 1492، وتابعوا محاولاتهم لتنفيذ وصية الملكة إيزابيلا باحتلال شمال إفريقيا وتحويل أهلها إلى المسيحية، وقد دعم التجار الأوروبيون والكنيسة الكاثوليكية محاولات الإسبان والبرتغال في تنفيذ هذه الوصية⁽¹⁾.

وعجل سقوط غرناطة سنة 1492، انطلاق الحملات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار، ولقد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول وفي الوقت نفسه فإن هجرة المورسيكين قد خلقت تآزماً ووفرت سبباً لتعليل التدخل الإسباني⁽²⁾.

وهذا ما جعل سكان الشمال الإفريقي يستغيثون بالعثمانيين لنجدتهم من العدوان الأوروبي المستمر على سواحلها⁽³⁾.

(1)- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 27.

(2)- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 34.

(3)- محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 129.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

وهكذا كان على الأتراك العثمانيين التدخل لمعاونة المجاهدين ودرء الخطر الصليبي عن المسلمين⁽¹⁾، وبدأت تتكون حركات جهادية في الشمال الإفريقي أو ما أطلق عليها من طرف المؤرخين الأوروبيين "حركة قرصنة"، رغم أن الوصف الذي يستحقه هؤلاء القادة ورجالهم هو أنهم مجاهدين مسلمين. ولم تكن الحركة الجهادية ذات تنظيم أو أثر كبير قبل ظهور الأخوان عروج وخير الدين بربروس⁽²⁾. واستقر عروج بجزيرة جربة بسبب قربها من الأراضي المسيحية كصقلية ومالطا والجنوب الإيطالي⁽³⁾، ومعه قوات تتكون من حوالي ألف رجل، وأسطول يتألف من اثنا عشرة سفينة من نوع غالليون⁽⁴⁾. والتحق به أخواه خير الدين وإسحاق⁽⁵⁾.

ثم بعدها شرع عروج في نقل المسلمين الفارين من شبه الجزيرة الإيبيرية⁽⁶⁾، وتعرض للسفن الأوروبية التي كانت تجوب البحر المتوسط المحملة بالبضائع والجنود، فتحصل منها على غنائم هائلة قاما ببيعها في جزيرة جربة ودفع الخمس منها إلى السلطان وتصدق على الفقراء من الأهالي⁽⁷⁾. ومنذ ذلك الحين بدأت شعبية الأخوان في الازدياد على صعيد المسلمين في الشمال الإفريقي الذين بدأوا في الانضمام إليهما للجهاد ضد الصليبيين⁽⁸⁾.

(1)- أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص75.

(2)- نفسه، ص ص83-84.

(3)- عائشة جميل، المرجع السابق، ص30.

غالليون: هي سفينة شراعية تستخدم في الأسفار البعيدة وأصل الكلمة إيطالي. أنظر: عبد القادر فكاي، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص130.

(4)- نفسه، ص102.

(5)- سالم جوامع، الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط مطلع القرن 16م قراءة جديدة في النشأة والمنجزات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 3، العدد 3، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، شهر جوان 2020، ص137.

(6)- صالح عباد، المرجع السابق، ص43.

(7)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص173.

(8)- أحمد سالم، المرجع السابق، ص86.

وقررت إسبانيا إرسال أسطول كبير مكون من عشرة سفن للقضاء على الإخوة بربروس ومن معهم من الأتراك، ولكن قبل وصول السفن الإسبانية كان البحاران التركيان قد توجهوا إلى جنوة للإغارة عليها، غير أن مخالفة الرياح أجبرتهما على اللجوء إلى سواحل بجاية الجزائرية⁽¹⁾، فقد جاء عن خير الدين بربروس في مذكراته أن مجيئهم إلى المغرب الأوسط أول مرة كان بمحض الصدفة (كنا نريد التوجه إلى جنوة إلا أنه بسبب مخالفة الرياح توجهنا إلى سواحل الجزائر فرسونا أمام قلعة تدعى بجاية...). وهذا يدل على أن أول ظهور للإخوة في سواحل المغرب الأوسط كان بسبب سوء الأحوال البحرية. وقبل استغاثة أهالي بجاية التي ستأتي بعد ظهورهم الأول في المنطقة⁽²⁾.

وتذكر بعض المصادر الأخرى أن سبب مجيء الإخوة بربروس إلى المغرب الأوسط كان بعد استغاثة أهالي البلاد بهم مثل: أهالي وأعيان بجاية من أجل طرد الاحتلال، فحيث أنه لما سمع أهل القبائل بغاراتهم الناجحة على الإسبان استقدموهم إلى بلادهم ليعاونوهم على استرداد بجاية أكبر موانئ شرق الجزائر حينذاك⁽³⁾.

وكان قدوم آل بربروس إلى مناطق المغرب، واستقرارهم فيها وتحملهم أعباء الدفاع عنه - وانتقاما من المسيحيين الذين شردوهم مع إخوته من جزيرة مدلي - أسفر عن خروج الإسبان من المناطق التي احتلوها وأصبح الإسبان إزاء ذلك في موقع المدافع عن أرضه تجاه الهجمات التي شنها أبطال المغرب وخاصة الجزائر وألحقوا بهم خسائر فادحة، وغدت سواحلهم شبه مهجورة⁽⁴⁾. وارتبط الوجود العثماني في الجزائر بالجهاد البحري ضد المعتدين من النصارى⁽⁵⁾.

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص173.

(2)- سالم جوامع، المرجع السابق، ص137.

(3)- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 19.

(4)- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 18.

(5)- محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص33.

إن ما نريد الإشارة إليه هنا هو أن ظهور آل بربروس في غرب البحر المتوسط اختلف كلياً عن ظهور غيرهم من الأتراك الذين سبقوهم سواء بالنظر إلى سبب المجيء أو بالنظر إلى النتائج الباهرة التي ترتبت عن ذلك⁽¹⁾.

بعد هذه الاتصالات الأولية بدأت أوصل التعاون تتجسد، مما دفع بالبعض في التفكير في ترسيم تلك العلاقات والاتصال بالسلطة العثمانية.

ثانياً: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية.

في مطلع القرن 16م ذاع صيت البحارة عروج وخير الدين في الشرق والغرب بسبب جهادهما ونضالهما من أجل إنقاذ بواخر المسلمين الفارين من الاضطهاد الإسباني وبروزهما كقوة مضادة للقرصنة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط⁽²⁾، وهذا ما جعل الملك أبو بكر الحفصي يرسل عروج ويطلب منه مساعدته في تحرير بجاية وطررد الإسبان. وقد لبى عروج النجدة وزحف إلى بجاية ثم جيجل في سنة 1514م، وخلص شرشال وكذا مدينة الجزائر⁽³⁾. وفي سنة 1518م حاصرت القوات الإسبانية مدينة تلمسان، وعلى إثر هذا الحصار قتل عروج⁽⁴⁾.

بعد استشهاد الرئيس عروج، كان أخوه خير الدين متأثراً جداً بسبب هزيمة أخيه وقته⁽⁵⁾، فقرر المغادرة والالتحاق بالخلافة العثمانية في إسطنبول ولما علم سكان مدينة الجزائر بخبر مغادرته اجتمع العلماء والأعيان مطالبين إياه بالبقاء، فرد عليهم قائلاً: (إني قد عزمت على سفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وماتركت عندكم العدة لأنني تركت في بلادكم أكثر من أربع مئة مدفع ولم يكن في بلادكم إلا واحد). فقالوا له: (يا أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا تسمح

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، ص ص 170-171.

(2)- عمار بوحوش، المرجع السابق، صص 52-53.

(3)- صالح حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007، ص 41.

(4)- صالح عباد، المرجع السابق، ص 48.

(5)- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 70.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

بذلك فالله وأمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم). وخاطبه علماء الجزائر فقالوا له: (يا أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستنا من ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو)⁽¹⁾.

فأجابهم خير الدين قائلا: (أنتم رأيتم ما وقع من الملاحين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي أن تصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا سليم فيمدنا بالمال والرجال وما نحتاج إليه من آلة الجهاد ولا يكون ذلك بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه)⁽²⁾. فاستحسن أعيان الجزائر ذلك، وكتبوا رسالة باسمهم إلى السلطان، كما كتب خير الدين كتابا مماثلا. ثم جهز أربعة سفن وجعل على رأسها الشيخ الفقيه أحمد ابن القاضي⁽³⁾. وعندما وصلت السفارة إلى إستانبول في 1518، استقبلهم السلطان واحتفى بهم⁽⁴⁾. وأعلمهم بموافقتهم، وأرسل الدعم الذي يتكون من قوة بحرية محملة بأربعة آلاف مقاتل من المتطوعين الأتراك وكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والتجهيزات الحربية⁽⁵⁾.

وبعد هذا الاتصال أصدر السلطان فرمانا يعلن فيه ارتباط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية سنة 1519م وتعيين خير الدين بايلربايا⁽⁶⁾.

المبحث الثاني: مرحلة التعاون والتقارب.

لقد وجد العثمانيون عند دخولهم منطقة شمال إفريقيا العديد من القوى السياسية المحلية المتشكلة على أنقاض دولة الموحدين. واختلفت مواقف تلك القوى تجاه الإخوة بربروس وتطورت تلك المواقف عبر الزمن لاعتبارات عدة، فنجد العلاقات بينهم أحيانا علاقات تقارب وتعاون مع البعض. ففي هذا المبحث نقف على تلك التطورات التي شهدتها علاقات التعاون بين العثمانيين والقوى المحلية.

(1)-جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص51.

(2)-نفسه، ص ص51-52.

(3)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص208.

(4)-نفسه، ص209.

(5)- بسام العسلي، المرجع السابق، ص108.

(6)- عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره...، المرجع السابق، ص144.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

أولاً: دواعي التحالف والتقارب.

فهم العثمانيون منذ بداية تعاملهم مع القوى المحلية في الجزائر العثمانية بعد إلحاقها بالدولة العلية منذ 1519م أن نجاحهم في حكم الجزائر واستمرار بقائهم فيها مرتبط بقدرتهم على التقرب والتعامل مع تلك القوى ذات الحضور الديني والاجتماعي القوي، ومدى تمكنهم من الحصول على دعم رؤساء ومشايخ ورموز تلك القوى⁽¹⁾.

وقد كان الدين هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المغرب، فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوربا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان، وكانوا بالطبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين، فوجدوهم في رجال الدين⁽²⁾.

-التصدي للهجمات الإسبانية وطرد المحتل النصراني من مدن الجزائر الساحلية⁽³⁾.
-إستدعاء أهالي مدينة الجزائر عروج الذي كان بجيـل من أجل مساعدتهم في طرد الإسبان⁽⁴⁾.

ثانياً: مظاهر التقارب والتحالف.

تواجدت عدة إمارات مع بداية الوجود العثماني في المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، كانت في البداية مع السياسة العثمانية وتحالفت معها. ومن أهم هذه الإمارات المحلية نجد:

أ/-الدولة الحفصية:

هي الدولة الإسلامية الرابعة بالبلاد التونسية وقد دامت 347 سنة هجرية⁽⁵⁾. صنعها الموحدون للقضاء على ثورة ابن غانية وتمرد بعض القبائل⁽⁶⁾. والحفصيون ينتسبون إلى

(1)-أحمد سعودي، الإدارة العثمانية في الجزائر والقوى الروحية-الطرق الصوفية-بين التوائم والتصادم، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد 9، ج2، جامعة الأغواط، ص55.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص460.

(3)-محمد لعباسي، المرجع السابق، ص40.

(4)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص187.

(5)-أحمد بن عامر، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974، ص17.

(6)-صالح خليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط، مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007، ص9.

الشيخ (أبي حفص يحي بن عمر الهنتاتي) وهو أحد القائمين بدعوة المهدي عبد المؤمن بن علي والمشيدين لملكه، ويزعم بنو حفص أنهم من نسل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما ادعى أمراء صنهاجة من قبلهم الانتساب إلى حمير، وكلا الفريقين من البربر⁽¹⁾.

ونجح الحفصيون في تأسيس دولتهم في الجزء الشرقي وجعلوا عاصمتهم مدينة تونس سنة 625هـ/1227م⁽²⁾، واندمجوا بعد جيلين أو ثلاثة في الوسط الجديد وألفوا الحياة في إفريقية بعد أن صاروا يحكمونها وتمكنوا من إقامة دولة كانت مدتها أطول ما عرفه تاريخ ذلك البلد⁽³⁾. وهي عبارة اليوم عن مقاطعتين الجزائر وقسنطينة، مع جزء من مقاطعة وهران، وهي تنقسم إلى أربع ولايات: ولاية بونة-عنابة، وولاية بجاية، وولاية قسنطينة، وولاية الزاب وقاعدته مدينة بسكرة ثم مقرة من بلاد الحضنة، ويمتد خط الجنوب إلى ما وراء بلاد وارجلن(واركلة)⁽⁴⁾. بلغ عدد أمرائها 24 أميراً⁽⁵⁾.

وكان للتحويلات الكبرى التي عرفها القرن السادس عشر ميلادي الدور البالغ في الانحلال الذي أصاب التركيبة الحفصية فقد نتجت صراعات عسكرية وسياسية شاركت فيها قوى داخلية وخارجية، حيث كان الصراع قائماً بين الأتراك والإسبان والقوى المحلية التي كانت تعاني من التخلف السياسي خصوصاً بعد تولي أمرها السلطان الحسن بن محمد الذي خلف أباه محمد بن الحسن على العرش⁽⁶⁾.

يعتبر هذا السلطان الحفصي صاحب الفضل في التمهيد للوجود العثماني في شمال إفريقيا، فهو الذي فتح جزيرة جربة للبحارة الأتراك لكي يتخذوا منها قاعدة انطلاق لهم

(1)-عبد الوهاب حسن حسين، خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ص105.

(2)-عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص14.

(3)-محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص53.

(4)-عبد الرحمان بن محمد الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1955، ص11.

(5)-أحمد بن عامر، المرجع السابق، ص18.

(6)-زهيرة سحابات، جهود العلي باشا في عثمانة تونس على ضوء مهمة دفترية، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقيا، المجلد6، العدد1، جامعة الجبالي ليايس سيدي بلعباس، جانفي2023، ص194.

للإغارة على السفن والسواحل الأوربية، مقابل أن يحصل على خمس الغنائم، ويجني مكاسب اقتصادية وسياسية وأمنية كبيرة من جراء هذا الدعم. وكان يحصل أيضا على هدايا كبيرة تذهب إلى خزانته الخاصة⁽¹⁾. كما أن دعمه للأتراك كان يظهره بمظهر المدافع عن السواحل الإسلامية، ومن أجل ذلك فليس من المستغرب أن يرحب بالأتراك، ما داموا يحققون له كل ذلك دون أن يتحمل أي عبء مادي أو معنوي مقابل ذلك⁽²⁾.

ولكن ذلك كله وقع عندما كان الأخوان بربروس مجرد بحارين يغيرون على السفن والسواحل الأوروبية لكن عندما تزايدت انتصاراتهم في البر والبحر رأى السلطان الحفصي أنهما سيصبحان قوة تشكل خطرا⁽³⁾.

وفي الجهة الغربية تنافسها الدولة الزيانية.

ب/-الدولة الزيانية:

تنسب إلى زيان بن ثابت بن محمد من بني طاع الله لأن ملوكها من عقبة ومملكة آل زيان الأصلية هي موطن عبد الواد وأحلافهم بنى راشد، الممتدة طولا من البحر إلى الصحراء وعرضا من ناحية وادي مينة، وجبال سعيدة⁽⁴⁾، وتدعى قبائل بنى عبد الواد أو بنى زيان نسبة إلى منشئ الدولة يغمراسن بن زيان، وكان بنو عبد الواد فرعا من زناتة، ثم اندفعوا غربا أمام الغزوة الهلالية واستقروا في أراضي المراعي جنوبي وهران ولخدمتهم وطاعتهم للموحدين اكتسبوا حق الاستيطان في وهران ومايلها غربا حتى تلمسان⁽⁵⁾.

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 317.

(2)- نفسه، ص 317.

(3)- نفسه، ص 318.

(4)- مبارك بن محمد الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 439-440.

(5)- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، 2001، ص 9-10.

وهكذا بدأ يغمراسن عهده وقد شق الطريق لدولته وسط الأشواك والحفر⁽¹⁾، التي أسسها عام 1235/633م وكانت عاصمتها مدينة تلمسان⁽²⁾. التي تمتد غربا حتى وجدة وتبلغ أحيانا شرقا إلى أعمال قسنطينة ودلس وبجاية، وتسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها من بنى حفص وبنى مرين، وبلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى سجماسة – تافيلالت⁽³⁾.

إن دولة بني زيان العظيمة كانت أعظم وأزهر دولة إسلامية تأسست بهذه الديار فكان نجمها الزاهر يتألق في الغرب، وكان أسطع من نجم بنى حماد قبل ذلك في الشرق⁽⁴⁾.

وعند النظر في مواقف هؤلاء الملوك تجاه وجود الإخوة بربروس في المغرب الأوسط فلا نجد فرقا جوهريا بينهم. كما أنهم لم يكونوا يتبعون سياسة واضحة يلتزمون بها. فمواقفهم لم تكن نابعة من قناعات سياسية مؤيدة أو معارضة للوجود العثماني في الجزائر. بقدر ما كانت تحركها المصلحة الشخصية المحضة التي تمكن هذا الملك أو ذاك من الوصول أو البقاء في عرش المملكة⁽⁵⁾. وقد تحالف الزيانيون غداة الدخول العثماني إلى الجزائر مع عروج عندما استقر نسبيا في الجزائر ونواحيها. فقد طلب منه أعيان تلمسان التدخل ضد الإسبان الذين تحالف معهم أبوحمو موسى الزياني الذي اغتصب عرش تلمسان من ابن أخيه أبي زيان، فاستجاب عروج لهم، ودخل تلمسان ونصب أبا زيان⁽⁶⁾.

وفي الوسط الجزائري ظهرت إمارة الجزائر بقيادة أسرة الثعالبة.

(1)- يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص53.

(2)- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص14.

(3)- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، ج2، ط1، المرجع السابق، ص121.

(4)- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص28.

(5)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص304.

(6)- نفسه، ص306.

ت/- إمارة الثعالبية:

هي فرع من المعاقيل تنقلوا من مواطن عديدة منها المدينة وجبل التيطري، ثم انتقلوا إلى متيجة وسكنوا بسهولها، أسندت لهم كذلك ضواحي مدينة الجزائر، وكان شيخ المدينة عبد الرحمان الثعالبية سنة 1438م⁽¹⁾. وعند وفاته انتقلت السلطة من الثعالبية إلى منافسيهم أولاد سالم⁽²⁾.

إن القائد سليم التومي تولى سلطة إمارة الثعالبية بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان الثعالبية⁽³⁾، وكان سليم التومي يحكم مدينة الجزائر سنة 1510م، وهو ينتمي إلى قبيلة الثعالبية فرع بني تومي⁽⁴⁾، وهو عربي من سكان بلیدا كما أنه هو بالتحديد الذي طلب العون من الإخوة بربروس⁽⁵⁾. وكان شيخا منتخبا من طرف مجلس أعيان مدينة الجزائر التي كانت اسميا تتبع الدولة الحفصية، وكان يرأس هذا المجلس وهو الذي كلفه بدعوة الأخوين بربروس إلى الجزائر لتحريرها وذلك في سنة 1514م⁽⁶⁾.

رغم أن سالم التومي عارض دعوة عروج لتحرير المدينة لكنه اضطر إلى القبول تحت ضغط الأعيان⁽⁷⁾، فاجتمع الأهالي مع سالم التومي وقرروا دعوة الرئيس عروج إليهم فأرسلوا له رسالة يلتمسون فيها مساعدتهم وتخليصهم من الإسبان وكتبوا له عهدا بالسماح له بالعيش والإقامة في مدينة الجزائر، حيث كان يقيم في جبل التي حررها من سيطرة الجنويين⁽⁸⁾.

(1)- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص42.

(2)- بلقاسم صديقي، توفيق دحماني، الزعامات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي نموذجاً)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 22، العدد 1، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2022، ص179.

(3)- نفسه، ص179.

(4)- كورين شوفالبيه، المرجع السابق، ص23.

(5)- بلقاسم صديقي، توفيق دحماني، المرجع السابق، ص180.

(6)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص295-296.

(7)- نفسه، ص187.

(8)- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص50.

وبعث شيخ المدينة سالم التومي وفداً إلى جيجل لطلب المساعدة من عروج⁽¹⁾. وعند وصول الوفد استقبله عروج بحفاوة كبيرة، فشكوا له معاناة المدينة بسبب الحصار الإسباني، وطلبوا المساعدة قائلين: (سمعنا بكم أناساً تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئاً لكم أيها المجاهدون، لابد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي الملاحين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذلة شديدة)⁽²⁾. لم يتردد عروج في قبول العرض بل قبل بكل سرور حيث كانت له رغبة في الانتقال إلى مدينة الجزائر ذات الموقع المتميز⁽³⁾. وامتلاك مدينة الجزائر لميناء مناسب للجهاد البحري وإضافة إلى ذلك غناها بالثروات وكثرة سكانها⁽⁴⁾.

فجمع عروج قواته وتوجه إلى المدينة مع قوات يتراوح عددها ثمان مئة جندي بالإضافة إلى بعض الرجال إلتحقوا برا عددهم خمسة آلاف. وما إن وصل إلى المدينة توجه مباشرة إلى شرشال وحررها، ولما حل بمدينة الجزائر استقبله شيخها سالم التومي⁽⁵⁾، استقبل الصديق⁽⁶⁾، واستقبله سكانها استقبال الفاتحين المنقذين. ومن الغد وجه نيران مدفعيته نحو القلعة لكن بعد عشرين يوماً فشل من تحطيمها لضعف مدفعيته⁽⁷⁾. وبجوانب مدينة الجزائر انتشر نفوذ إمارة أخرى تضم منطقة زواوة وهي إمارة كوكو.

(1)-بلقاسم صديقي، توفيق دحمانى، المرجع السابق، ص181.

(2)-محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط 1512- 1518م، مجلة عصور، عدد4-5، 2003-2004، صص254-255.

(3)-عبد القادر فكايير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص111.

(4)-فراي ديغوهايدو، المرجع السابق، ص24.

(5)-عبد القادر فكايير، الصراع الجزائري الإسباني...، ص112.

(6)-وليام شالر، مذكرات وليام شالرقنصل أمريكا في الجزائر، تع وتع وتق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص40.

(7)-محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص256.

ث/- إمارة كوكو:

أسسها أحمد ابن القاضي في قرية أورير التابعة لعرش أث غبري⁽¹⁾، في 1511م⁽²⁾، وتقع على بعد 18 كيلومترا من الجنوب الشرقي من مدينة أربعاء بني راثن⁽³⁾. وأقام أحمد بلقاضي في البداية في قرية أورير وهي قرية شاسعة تقع في سلسلة جبال أكفادو، حيث بدأ يمارس سلطته على بعض قبائل المنطقة، ثم امتد نفوذه إلى كل المنطقة الواقعة بين دلس وجيجل ومن البحر إلى حوض وادي سباو. واستقر من خلفه فيما بعد في كوكو عند أهل آيت يحي. وتقع هذه القرية الصغيرة على قمة جبل يطل على أعالي سباو على 8 كم شرق عين الحمام (ميشلي سابقا)⁽⁴⁾.

يحد إمارة كوكو من الشمال والشمال الشرقي قرية ثاقنيتس، ومن الشرق إمسوحال وأث أنظار، ومن الجنوب أث جبارة، ومن الغرب ثفراوث⁽⁵⁾.

ويعتبر الشيخ أحمد بن القاضي الزواوي صاحب جبل كوكو⁽⁶⁾، وهو الذي ينحدر من شجرة عائلة أبي العباس الغبريني، وكان أحمد بن القاضي يعمل قاضيا لدى آخر أمراء بجاية، التابعة آنذاك للسلطة الحفصية⁽⁷⁾. وبعد سقوط بجاية عام 1510م تزعم القبائل قصد الوقوف في وجه الغزاة الإسبان⁽⁸⁾، وهو الذي كاتب عروجا الذي كان مقيما في جيجل يقول: (إن بلادنا

(1)- علي بن شيخ، نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والاقتصادي ما بين القرنين 16 و18م، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11، جامعة بجاية، 12 مارس 2016، ص ص 331-332.

(2)- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماعي، الجزائر، ص 147.

(3)- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 211.

(4)- محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ شأتها حتى سنة 1954، تعليق موسى زمولي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 28.

(5)- علي بن شيخ، المرجع السابق، ص 332.

(6)- العربي سعيدي، انتفاضات القبائل ضد البايات العثمانية في منطقة غليزان، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 5، المركز الجامعي غليزان، ص 100.

(7)- مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق وتقديم عبد الله حمادي، دار القصة للنشر، 2009، ص 78.

(8)- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 27.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

بقيت لك أو لأخيك أو للذئب⁽¹⁾، ولما جاء عروج إلى بجاية التحق به ابن القاضي وأصبح خليفة له على إثر ذلك تولدت صداقة متينة بينهما والتي ستكون لها أثر إيجابي على عروج بحيث أن هذا الأخير يقوم بمهاجمة مدينة بجاية من البحر، بينما تهاجمها جيوش ابن القاضي المكونة من آلاف الرجال من ناحية البر⁽²⁾.

ويعتبر ابن القاضي (الأب) من أكبر الداعمين والمساندين للإخوة بربروس حيث شارك في كل الأحداث الهامة في الإيالة، ومنها حصار بجاية في عام 1514م، ودخول مدينة الجزائر في عام 1516م، ثم تلمسان سنة 1518م⁽³⁾.

وأرسله خير الدين على رأس وفد من طرف أعيان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520م)⁽⁴⁾، راجين منه أن يضع بلادهم تحت حماية الدولة العلية العثمانية، ويولي عليهم خير الدين بربروس، فأعطاهم السلطان ما يريدون⁽⁵⁾. وعندما عاد الوفد الجزائري من إسطنبول قام خير الدين بتنظيم الإدارة فاستقر هو في العاصمة، وعين أحمد بن القاضي نائبا عنه في الناحية الشرقية فاتخذ من دلس مركزا له، وعين محمد علي أحد الرجال المخلصين لابن القاضي نائبا عنه في الناحية الغربية والذي اتخذ من شرشال مركزا له، وغايته في ذلك هو محاولة احتواء واستغلال نفوذ ابن القاضي⁽⁶⁾.

(1)- هشام سوادى هشام، تاريخ العرب الحديث 1516-1918 من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010، ص42.

(2)- كورين شوفالبيه، المرجع السابق، ص27.

(3)- محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (10-13/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، العدد2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1431هـ-2011م، ص204.

(4)- محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان...، المرجع السابق، ص204.

(5)- محمد دراج، كوكجن قالقان، مطارحات في الفكر التاريخي جدليات التاريخ العثماني والجزائري الحديث، ط1، مركز الأصال للدراسات والبحوث، وسم للمعرفة والثقافة، 1444هـ/2023م، ص61.

(6)- محمد السعيد قاصري، العلماء والفقهاء في الجزائر من اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مجلة عصور الجديدة، المجلد7، العدد26، شتاء-ربيع (أفريل)، 1438هـ/2016-2017م، ص208.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

ووفق هذه المقتضيات تبدو الاتصالات الأولى حسنة، بين الزواوي والتركي عروج منذ 1512م⁽¹⁾. فكان الصديق والحليف للأخوين عروج وخير الدين، وقدم لهما يد المساعدة في إرساء القوى التركية بالجزائر، ومحاربة القوى الإسبانية⁽²⁾.

والى جانب إمارة كوكو نجد إمارة أخرى إلى الجنوب بقيادة أسرة آل العباس بالقلعة.

ج/- إمارة بني عباس:

ظهرت في القسم الشرقي من بلاد القبائل اتخذت من قلعة بني عباس عاصمة لها، كانت تابعة للأمير عبد العزيز الحفصي⁽³⁾. تأسست سنة 1500م⁽⁴⁾.

كانت هناك علاقة تحالف بين خير الدين وشيخ بني عباس حيث وقف أمراء بني عباس إلى جانب خير الدين في حربه ضد ابن القاضي (الإبن)، كما دعموا صالح رايس بفرقة عسكرية اثناء قيامه بالحملة على توقرت⁽⁵⁾.

وفي سنة 1525م إتجه الرئيس خير الدين إلى قبيلة بني عباس وإتفق مع سلطانها، وكانت هي المرة الأولى التي يتوجه فيها الرئيس خير الدين إلى مناطق القبائل ويحقق إنتصارا حاسما هناك⁽⁶⁾. واقترب خير الدين من أمير بني عباس عدو ابن القاضي بعد مقتل عروج وحصول القطيعة بينه وبين ابن القاضي (الإبن)، وأيضا من أجل السيطرة على جبال بلاد القبائل الوعرة، ويرجع هذا التحالف إلى سنتي 1520م-1525م والبعض يرجعه لسنة 1529م⁽⁷⁾.

(1)- أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م-1767م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2015، ص 91.

(2)- شارل فيرو، تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2010م، ص 97.

(3)- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 12.

(4)- عبد القادر فكاي، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره...، المرجع السابق، ص 137.

(5)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2005-2006، ص 172.

(6)- عزيز سامح التتر، المرجع السابق، ص 84.

(7)- صالح عباد، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

واستغل أمير بنى عباس هذا التحالف ليوّسع نفوذه نحو الحضنة وناحية سطيف وسهول حمزة (البويرة) وينظم إدارة أقاليمه⁽¹⁾.

هذه نماذج من ملامح التقارب والتعاون الذي ساد بين الإخوة بربروس وبعض القوى المحلية بالمغرب الأوسط والأدنى، لكن من الجهة الأخرى سرعان ما ظهرت الاصطدامات بينهما.

المبحث الثالث: مرحلة التنافر والتصادم.

إن علاقة التقارب بين زعماء الإمارات والأخوين بربروس لم تدم طويلا، فقد ظهرت بوادر التآزم بين الطرفين. وفي هذا المبحث سنتطرق إلى أسباب ومظاهر التصادم بين الطرفين.

أولاً: دواعي التنافر والصدام.

هناك مبررات كثيرة لهذا التنافر والصدام وذلك حسب كل إمارة إن اختلفت في التفاصيل فإنها تتفق في العموميات، ويمكن أن نلخصها في مجموعة عوامل حسب الإمارات والقوى المحلية.

فمثلا بالنسبة لإمارة كوكو فمن دواعي التمرد نذكر:

1- إن الظرف الذي أدى إلى إنقلاب العلاقة بين آل بربروس وآل القاضي من التحالف إلى العداء، ومن الولاء إلى التمرد هو تغير القيادة في أسرة آل القاضي بوفاة الشيخ العلامة أبي العباس أحمد، وتولي ابنه إمارة كوكو. هذا الابن الذي لم يكن محبا للأتراك مثل أبيه، بل كان يمقتهم بشدة⁽²⁾.

2- طمع ابن القاضي في أن يكون ملكا بديلا خير الدين.

(1)-صالح عباد، المرجع السابق ، ص69.

(2)-سالم جوامع، عبد الحق زريوح، آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 16، العدد 2، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 15 جوان 2020، ص112.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

3- اعتماد ابن القاضي (الإبن) على بني قومه وأنصاره الذين سوف يكونون سنداً وعوناً له.
4- ثقته الشديدة في دعم السلطان الحفصي الذي كان يتوجس خيفة من امتداد نفوذ خير الدين إلى تونس.

5- توقعه أن يلقي تأييداً من إسبانيا، كونه لا يشكل خطراً عليهم⁽¹⁾.
ومن أسباب تمرد حميدة العبد على عروج نذكر تأثيره بمقتل سليم التومي⁽²⁾. ورفض رؤساء الخضوع للأتراك⁽³⁾.

أما السلطان الحفصي فقد كان يعتبر مدينة الجزائر تخصه، كما أنه كان يعتبر عروجا وخير الدين من أتباعه المنشقين عليه، فرغب في استغلال موت عروج لاسترجاع الجزائر⁽⁴⁾.
ثانياً: مظاهر التنافر والصدام.

تحدثنا آنفاً عن التحول الطارئ في العلاقات بين حلفاء الأمس أي سلطة الإخوة بربروس والقوى المحلية، ويظهر ذلك التنافر والصدام فيما يلي، بداية بالحفصيين.

أ/- الدولة الحفصية:

علم خير الدين ما آلت إليه مملكة الحفصيين من الهرم والاضطراب، فخرج من الجزائر في جيش من الأتراك واستولى على بنزرت، وبلغ الخبر للحسن الحفصي فهرب من الحاضرة لما كان يتوقعه من الهزيمة فدخل خير الدين تونس وخطب بها للسلطان العثماني، ثم إن الحسن الحفصي داخل الأعراب في القيام على خير الدين فأجابوه واجتمعوا على قتله، لكن خير الدين أطلق عليهم مدافع. ولما يئس الحسن من نصرة الأعراب توجه إلى إسبانيا مستنجداً

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص301.

(2)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص212.

(3)- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي

البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص39.

(4)- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص31.

بملكها شارل كان⁽¹⁾، وأقدم خير الدين على فتح تونس بسبب مواقف السلطان مولاي حسن الحفصي ضده، إلى جانب أنه لديه نفوذ في الناحية الشرقية من الجزائر، وتخوفه من التدخل الإسباني فيؤدي ذلك إلى تدعيم وجودهم في سواحل الممالك الغربية خاصة أنهم كانوا يحتلون طرابلس في شرقي تونس وبجاية في غربها⁽²⁾.

رفض السلطان الحفصي الحماية العثمانية ولم يبق تحت نفوذها في جوان 1535م، ورضخ لضغوطات الإسبان، خوفا من أن يحدث له مثلما حدث لسالم التومي في الجزائر، وهذا يبدو واضحا من خلال احتمائه بالعدو الصليبي⁽³⁾. وهذا السلوك يدعو للعجب فقد احتل الإسبان مدنا كانت تابعة لمملكته، مثل بجاية وعنابة والقل وطرابلس والجزائر ودلس، وكان المتوقع أن يضع يده بيد العثمانيين لتحرير هذه المدن. لكن حدث العكس فموقف السلطان الحفصي من الوجود العثماني كان عدائيا منذ حصار بجاية، واستمر ذلك كسياسة رسمية في ملوك بني حفص إلى أن تم فتح تونس مرة ثانية والقضاء التام على الدولة الحفصية⁽⁴⁾.

وهكذا نجد أن تونس لم تخضع للعثمانيين سوى سنة واحدة تقريبا، لتصبح بعد استيلاء الإسبان عليها محمية إيبانية، وظلت خاضعة لهم لمدة 39 سنة. أما بنو حفص فقد كانوا يحكمون تونس خلال هذه المدة حكما اسميا فقط، إلى أن استولى عليها العثمانيون مرة أخرى سنة 1569⁽⁵⁾. نفس المصير كان ينتظر بنو زيان في الغرب بالمغرب الأوسط.

ب/- الدولة الزيانية:

اتبع سلاطين تلمسان سياسات مختلفة تجاه وجود الأتراك العثمانيين في الجزائر فهم لم يرتاحوا لهؤلاء العثمانيين، فقد عملوا كل ما بوسعهم لزعة الاستقرار وتحريض القبائل

(1)-حسن حسين عبد الوهاب، المرجع السابق، ص126.

(2)-عبد القادر فكاي، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص194.

(3)-كمال فيلاي، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837)، ط3، دار الألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2018، ص105.

(4)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص321-322.

(5)-نفسه، ص264.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

ضد الأتراك، فنجد السلطان أبو حمو الزياني حاول تحريض محمد ابن علي الذي جعله خير الدين نائبا عنه في غرب الجزائر، فكتب له يدعو للتخلي عن خير الدين والتحالف معه ضده⁽¹⁾.

ولم يتردد السلطان الزياني محمد بن عبد الله في التقرب من الإسبان، فعرض عليهم أن يكون تابعاً لهم⁽²⁾. وقد أمدّه الكونت دالكوديت بقوة عسكرية من أجل السيطرة على الحكم، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بإنهزام أبي عبد الله⁽³⁾.

هذه حالة الزيانيين بالغرب، فماذا كان حال الثعالبة بمدينة الجزائر وضواحيها؟.

ت/- إمارة الثعالبة:

ليس غريباً أن يقود الشيخ سالم التومي أول حركة تمرد ضد الوجود العثماني في الجزائر، حتى لو كانوا سبباً في طرد الإسبان، فانتظر الفرصة المناسبة للعصيان والتخلص منهم. ولم يطل الوقت كثيراً⁽⁴⁾. فعندما جاء عروج إلى مدينة الجزائر ونصب مدافعه مقابل حصن البينيون، واستمر الحال لمدة 20 يوماً لكنه فشل⁽⁵⁾، وبدأت التذمر يظهر بين السكان الذين رأوا بأنهم أخطأوا التصرف باستقدام عروج، خاصة بعدما أصبح يتصرف هو وجنوده كأسياد في المدينة وكحاكم مطلق يهدد عرش سليم التومي⁽⁶⁾. فعبر عن ذلك هذا الأخير، الذي وجد صفه يتدعم، فلقد أحيكت مؤامرة بين الثعالبة والأسبان وأهل مدينة الجزائر للتخلص من عروج وقراصنته⁽⁷⁾.

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص309.

(2)-نفسه، ص ص306-307.

(3)-طاهر تومي، المرجع السابق، ص107.

(4)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص192.

(5)-نجيب دكاني، المرجع السابق، ص53.

(6)-محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب...، المرجع السابق، ص ص256-257.

(7)-صالح عباد، المرجع السابق، ص47.

ومع ظهور بوادر التمرّد ضد عروج وجنده، اكتشف عروج رياحها فبادر بخنقها في المهّد، وقتل شيخ مدينة الجزائر سالم التومي⁽¹⁾، في سبتمبر 1516⁽²⁾، وقتل الأعيان في المسجد عندما كانوا يؤدّون صلاة الجمعة. وأمر باعتقال ثمانون من رؤسائهم وإعدامهم⁽³⁾. وأعلن نفسه سلطاناً على الجزائر⁽⁴⁾.

وتعتبر حادثة مقتل سالم التومي من أهم الأحداث التاريخية التي أثّرت حولها الجدّ، واختلّفت الروايات حول تلك النهاية⁽⁵⁾. وقد تكون تصرفات سالم التومي دافعاً لقتله حيث توجد وثيقة تدّين هذا الأخير، وتقول عنه أنه قتل من أجل الإسبان. وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة بعثها أحد الإقطاعيين إلى الكاردينال خمينيس يطلب حماية الإسبان من أجل استعادة نفوذهم، ويعلمهم أن تأسيس دولة إسلامية في المنطقة يهدّد مصالحهم ونفوذهم⁽⁶⁾. ومنه فإن ابن التومي كان يخطط لمؤامرة ضد عروج وجنوده وما يدعم هذا الأمر هو هروب يحيى ابن سليم التومي إلى حاكم وهران الإسباني بعد مقتل أبيه ومن هناك نقل إلى إسبانيا⁽⁷⁾.

نفس التحول عرفته إمارة كوكو تجاه العثمانيين فكيف يفسر إذن هذا التحول الرأسي للعلاقات بين الطرفين؟.

ث/- إمارة كوكو:

إن أحمد ابن القاضي (الأب) عرف بمساندته للأتراك طيلة فترة ولاية عروج، وحتى عندما استشهد هذا الأخير لم يستجب لرسائل التحريض التي كان سلطان تونس يرسلها تباعاً لجعله يتمرد على خير الدين، وكتب له يحرضه للثورة والتمرد⁽⁸⁾، وجاء في هذه الرسالة

(1)- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، ماي 1965، ص118.

(2)- أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص50.

(3)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص194.

(4)- عبد الله شريط، محمد الميلي، المرجع السابق، ص118.

(5)- عبد القادر فكايير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص113.

(6)- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص175.

(7)- محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب...، المرجع السابق، ص257.

(8)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص300.

قوله: (لنكن أنا وأنت يدا واحدة لاستئصال شأفة الأتراك، ونطرد خير الدين من الجزائر، فأكون أنا سلطانا عليها مكانه، ووقتها سوف أغدق عليك أموال كثيرة طائلة)⁽¹⁾. فأجابه برسالة جاء فيها: (يا عجباً... أي شيء فعله معك خير الدين من الشر حتى تكتب لي فيه بمثل ما كتبت؟ فإني لا أقدر على خيانتة، ولا يساعدني قلبي على المكر به... فاقطع طمعك مني، فإني لا أتابعك على ما تريد، ولا يحصل مني ندم إن شاء الله...)⁽²⁾.

لكن لم يلبث ابن القاضي (الأب) أن توفي، حتى ولي إمارة كوكو ابن له يحمل نفس اللقب العائلي الذي اشتهرت به عائلة ابن القاضي، فكاتبه السلطان الحفصي مرة أخرى محرضاً له، واعد له بالمساندة والدعم وأغراه بأن يقوم بمهاجمتهم من الشرق بينما يهاجمهم ابن القاضي (الابن) من الجنوب وقارة حسن من الغرب، ولن يكون أمام خير الدين سوى الاستسلام ومغادرة الجزائر إلى الأبد فيخلوا الجو لابن القاضي فيصبح سلطاناً على الجزائر، فوافق هذا الأخير وأعلن تمرده بعدما راسل البحار قارة حسن الذي وعده بأن يجعله قائداً للأسطول ووالياً على غرب الجزائر⁽³⁾. ليجد خير الدين نفسه في وسط ثوراتهم، بالإضافة إلى تصديه للإسبان⁽⁴⁾. وبينما كان خير الدين منشغلاً باغته ابن القاضي فوجد خير الدين نفسه ملزماً على الانسحاب، وتقلص نفوذه في شرق الجزائر ووسطها، كل هذا أجبره على مغادرة مدينة الجزائر واللجوء إلى قلعة جيحل التي كانت أول مدينة استقر بها⁽⁵⁾.

وخلال حكم ابن القاضي لمدينة الجزائر، كان خير الدين في نفس الوقت يعيد بناء قواته من جديد في منطقة نفوذه القديمة جيحل، وبدأ في الجهاد ثانية من هناك وبدأ يقوم بفتوحات، قام بفتح القل التي كانت محتلة من قارة حسن في سنة 1520م حيث جمع مخيمات القبائل،

(1)-لحسن قرو، دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص الدولة والمجتمع في المغرب الكبير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2017-2018م، ص80.

(2)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص300.

(3)-نفسه، ص225.

(4)-أحمد ساحي، المرجع السابق، ص107.

(5)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص226.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

واستولى على قسنطينة سنة 1521م، وعنابة سنة 1522م، وبعد ذلك تحالف مع شيخ بني عباس عدو ابن القاضي⁽¹⁾.

ثم عاد إلى الجزائر أي اشتبك مع قوات ابن القاضي (الابن)⁽²⁾، وكان مدعماً بقوة حليفه شيخ بني عباس وفي 1525م نزل في منطقة دلس ثم صعد إلى وادي سيباو وبوقدورة، وانتهت المعركة بهزيمة ابن القاضي (الابن) ومقتله⁽³⁾. وقتل هذا الأخير على يد أتباعه وحملوا رأسه إلى خير الدين علامة على خضوعهم⁽⁴⁾.

ثم توجه غرباً باتجاه مدينة تنس.

ج/- إمارة تنس (قبيلة سويد):

هم سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان⁽⁵⁾، تمتد حدودها على طول مسار جريان وادي الشلف جنوباً وما وراء شرشال شرقاً ومن الغرب تلمسان وشمالاً البحر المتوسط⁽⁶⁾.

تعد مدينة تنس من أهم المدن الساحلية الجزائرية، بسبب موقعها الذي يربط بين البحر واليابس، ونظراً لأهميتها الجغرافية والاقتصادية، انفصل سكانها الذين كانت تنزعهم قبيلة (بني مهل) عن سلطة الدولة الزيانية، وأصبح الأمير الزياني يحيى الثابتي أميراً عليها⁽⁷⁾،

(1)-كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص45.

(2)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص302.

(3)-كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص45.

(4)-محمد خير فارس، المرجع السابق، ص32.

(5)-كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014، ص64.

(6)-إسماعيل بن نعمان، الصراع العسكري بين حكام إمارة تنس والعثمانيين بالغرب الجزائري (922-959/1516-1552م)، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، جامعة الجزائر 2، ديسمبر، 2020، ص251.

(7)-عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص118.

وتحالف مع الإسبان من أجل السيطرة عليها وعلى المناطق القريبة منها، وعندما علم خير الدين بذلك اتجه نحو تنس لتحريرها وإبعاد الأمير يحي منها، وكانت هذه أول مواجهة بينه وبين أمراء هذه الدولة⁽¹⁾، وكان ذلك في صيف 923هـ-1517م⁽²⁾.

عندما تمكن عروج من إيقاف تمرد أهالي مدينة الجزائر، راسل بعض أنصار الشيخ سالم التومي، أمير قلعة تنس مولاي عبد الله الزياني المدعو بحميدة العبد. فسار هذا الأخير إلى شرق تنس مع قواته، حيث التقى هناك بقوات عروج في نواحي منطقة الشلف⁽³⁾، وحدثت بينهم معركة والمعروفة بثورة المحال⁽⁴⁾. وتمكن عروج من الانتصار على قوات حميدة العبد بفضل امتلاك قواته للسلاح الناري⁽⁵⁾. ونتج عن هذا الانتصار فرار مولاي عبد الله الزياني⁽⁶⁾ في سنة 1517م⁽⁷⁾. وأخذ عروج المناطق الممتدة بتنس وغليزان ومستغانم⁽⁸⁾.

حاربت هذه القبيلة إلى جانب صفوف الإسبان، وقد عثر على وثائق تتضمن مراسلات رؤساء سويد إلى ملك إسبانيا وأخرى إلى الحاكم العام الكونت دالكوديت يطلبون أجرتهم لما حاربوا في صفوفهم بأمر من رئيسهم حميدة العبد، وقد عثر عليها في الخزانة الملكية الإسبانية بسيمانكاس بضواحي مدريد⁽⁹⁾. وهكذا فقد وقف أمير تنس ضد من جاءوا من أجل حماية بلاده. وسوف نراه يكرر نفس الموقف في أثناء حكم خير الدين. الأمر الذي يضطر معه هذا الأخير إلى إعدامه بعد استفتاء العلماء فيما يجب عمله بشأنه⁽¹⁰⁾.

(1)- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص133.

(2)- عمارين خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج1، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2016، ص26.

(3)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص298.

(4)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص212.

(5)- عمارين خروف، المرجع السابق، ص26.

(6)- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص252.

(7)- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص26.

(8)- العربي سعيدي، المرجع السابق، ص100.

(9)- كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص64.

(10)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص298.

الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.

وتشير معظم الدراسات التاريخية إلى أن طبيعة العلاقة بين عروج وأمير تنس كانت علاقة خصام.

ح/-إمارة بني عباس:

كان الأتراك قد استعملوا عبد العزيز أمقران أمير بني عباس ضد بعض القبائل وضد ملك كوكو في جرجرة، لكن بعد حملة الصحراء، اختلف عبد العزيز مع الأتراك في شأن تقسيم الغنائم وتبعية منطقة مسيلة وبوسعادة، فحاول الأتراك قتل الأمير في قصر الجبينة، فلم ينقذه من الموت سوى الزواوة⁽¹⁾.

وكان عبد العزيز ناقما على خير الدين لأنه استطاع بسط نفوذه على قسم من المناطق التي كانت خاضعة له، إضافة إلى تحالفه مع ابن القاضي الذي جعله واليا على القسم الشرقي من الجزائر، مما يعني أنه سوف يكون خاضعا لخصمه ابن القاضي⁽²⁾.

وهكذا كان من الطبيعي أن يثور الملك عبد العزيز على خير الدين، معلنا تبعيته للملك الحفصي في تونس بتحريض من هذا الأخير، غير أن ثورة ابن القاضي جعلت الملك عبد العزيز يغير موقفه من خير الدين، فسرعان ما أعلن تبعيته ومساندته في قمع ثورة ابن القاضي⁽³⁾.

عادت الاصطدامات بين الأتراك وأمير بني عباس في سنة 1559 لأن الأمير رفض دفع الضريبة، فحدث صدام بين الأتراك وقوات عبد العزيز بالقرب من تالا مزيتة، وتمكن الأتراك من قتل عبد العزيز⁽⁴⁾.

(1)-صالح عباد، المرجع السابق، ص75.

(2)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص303.

(3)-نفسه، ص304.

(4)-صالح عباد، المرجع السابق، ص86.

استنتاج:

إن الوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط كان نتيجة اشتداد الصراع بين إسبانيا والدولة العثمانية مع مطلع القرن 16م. وهذا ما جعل أهل الجزائر يستنجدون بالإخوة بربروس الذين ذاع صيتهم آنذاك. وأدى ظهور الإخوة بربروس بسواحل شمال إفريقيا إلى تغير موازين القوى بين الطرفين ودخول الجزائر تحت لواء السلطة العثمانية.

قد سعى العثمانيون منذ دخولهم إلى المغرب الأوسط إلى ربط علاقات مع القوى الفاعلة في المجتمع عن طريق التواصل مع الأهالي بالاعتماد على زعماء القوى المحلية، تلك القوى التي ظهرت بعد ضعف الزيانيين غربا والحفصيين شرقا.

حيث عرفت بعد هذا في علاقة الإخوة بربروس بالقوى المحلية مراحل من التقارب والتنافر. كان بدايتها ود وتحالف وتقارب فهذه القوى كانت بحاجة لوجود سلطة مركزية قوية قادرة على مواجهة التحرشات الخارجية مما جعلها تتحالف مع الإخوة بربروس ورجحت العامل الديني سبب لقبول الوجود العثماني في الجزائر. إلا أن هذا لم يدم فظهر اختلاف وجهات النظر والشعور بتهديد المصالح، وكذا وضع الدسائس الداخلية والخارجية مما أدى إلى انقسام داخلي، ونتج عن ذلك تصفية حسابات بين الطرفين.

الفصل الثالث: تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

المبحث الأول: نتائج تقارب وتعاون الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

أولاً: الاستقرار السياسي السائد.

ثانياً: التصدي للتحركات الإسبانية.

المبحث الثاني: نتائج تنافر وصدام الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

أولاً: الاضطرابات السياسية السائدة.

ثانياً: المخاطر المترتبة عن الصراع.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

عرفنا سابقا أنه عند الدخول العثماني إلى المغرب الأوسط والأدنى تصاعدت الثورات وحركات التمرد ضد الإخوة بربروس، التي كانت بقيادة الزعماء المحليين والتي كانت بينهم عدّة علاقات كما شهدناها سالفًا. وفي هذا الفصل سنتطرق إلى نتائج هذه العلاقات سواء كانت علاقة تقارب أو علاقة تنافر.

المبحث الأول: نتائج تقارب وتعاون الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

تمكن الأخوين بربروس من إرساء استراتيجية تحالف بين العثمانيين وزعماء القوى المحلية ضد العدو المشترك، وهذا أدى إلى استقرار سياسي وتعاون بين الطرفين.

أولاً: الاستقرار السياسي السائد.

شهدت العلاقات بين الإخوة بربروس وبعض القوى المحلية تقارباً وتحالفاً، وقد تناولنا مظاهر هذا التعاون في وقت سابق. وقد كان لهذا التحالف تأثير كبير في تحقيق الاستقرار والهدوء في الجزائر، مما أتاح للإخوة بربروس فرصة لتوسيع نفوذهم تدريجياً ومشاركة هذه القوى في إدارة المنطقة.

عندما دخل الأخوين بربروس إلى المغرب الأوسط أصبح وضعهما مستقلاً. حيث أصبحا لديهما القدرة على إنجاز أعمالهم من دون الحاجة إلى موانئ شمال إفريقيا، على الرغم من أن تلك الموانئ كانت ذات فائدة لهم. ومن جهة أخرى أثبت الاستقرار في المنطقة فائدته لهؤلاء الإخوة، فبعد حصولهم على دعم الحلفاء المحليين المهمين، لاسيما أحمد بن القاضي، تزايدت أهميتهما في المنطقة وتوسع نفوذهم، حيث باشروا في إدارة عملياتهما العسكرية، ومناوراتهما الدبلوماسية أيضاً⁽¹⁾.

(1)- أنيس عبد الخالق محمود القيسي، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بغداد، ربيع الأول 1429هـ-آذار 2008م، ص113.

وبالرغم من قصر الفترة التي قضاها عروج في نضاله لتحرير الجزائر من الاحتلال الإسباني وفتح الطريق للنفوذ العثماني فيها، إلا أن ما حققه خلال فترة قصيرة لا تزيد عن ست سنوات (1513-1518)، تجعل المرء يندهش لضخامة هذه الإنجازات التي تحتاج فعلا إلى سنوات طويلة(1).

حيث أنه استطاع بفضل حزمه وقوة إرادته وطموحه السياسي أن يحسن استغلال الفراغ السياسي الذي شهدته الجزائر، ليؤسس دولة قوية شملت في بدايتها توحيد الجغرافيا السياسية من جديد من جيجل شرقا إلى مستغانم غربا ومن البحر شمالا إلى المدية جنوبا، فرسم معالم جديدة لإقامة نظام سياسي في المغرب الأوسط وكان هذا التوسع على حساب الاحتلال الإسباني في المناطق الساحلية وعلى حساب المتخاذلين من أمراء الإمارة الزيانية والإمارات المحلية المتنافسة على الزعامات(2).

واستطاع عروج تخفيف الحصار على البينيون، كما قام هذا الأخير بتنظيم الدولة حيث نظم الخزينة، وكلف رؤساء القبائل بمهام الجمركة، ووضع المقاييس والموازن، ووضع المبادئ القاعدية لتنظيم الدولة، كما قسم البلاد إلى عشرة ولايات وعين أخوه خير الدين على ولايات المنطقة الشرقية الخمسة وخصص لنفسه الباقية في الجهة الغربية(3).

وبعد أن حكم الرئيس عروج المدينة، فرض إجراءات أمنية مشددة، فخيم السكون والهدوء على مختلف مناطق المدينة ونواحيها، إزاء ذلك ازدادت ثقة العرب والبربر بصدق نية الأتراك، وأظهروا استعدادهم للتعاون معهم(4).

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص202.

(2)-حنيفي هلايلي، محاضرات بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، الندوة الوطنية المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 28أفريل 2016، ص12.

(3)-صالح كليل، المرجع السابق، ص96.

(4)-عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص53.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

أما خير الدين بعد توليه الحكم بعد استشهاد أخيه عروج قام بتقسيم البلاد إلى إقليمين: الناحية الشرقية ونصب عليها ابن القاضي وعاصمته كوكو ببلاد القبائل، ومحمد بن علي نصبه على الإقليم الغربي، واحتفظ هو بالجزائر، وكان يهدف من وراء هذا التقسيم أن يحكم معتمدا على ولاية من أهل البلاد⁽¹⁾. وأعد خير الدين السواحل للدفاع عن نفسها ضد الأساطيل المهاجمة، حيث أقام ترسانات قوية وأماكن للتربص ومراقبة الأعداء وأقام الأبراج المحصنة⁽²⁾.

ثانيا: التصدي للتحركات الإسبانية.

بعد سقوط غرناطة، فر العديد من المسلمين في الأندلس إلى سواحل الحوض الغربي للمتوسط عامة والمغرب الأوسط خاصة. هذا ما دفع بالإسبان إلى ملاحقتهم. والسيطرة على سواحل شمال إفريقيا. وهذا ما جعل القوة العثمانية تظهر في المنطقة وتتعاون مع القوى المحلية من أجل التصدي للغارات الإسبانية وتحرير السواحل من قبضة الإسبان، فقد تمكن الإخوة بربروس من استرجاع معظم السواحل المغاربية وهذا مكنهم من ربط علاقات تحالف مع بعض القوى المحلية. وكان فاتحة هذا التعاون محاولة تحرير بجاية.

تحرير بجاية 1512م:

اتسع نشاط الأخوين بربروس واشتهروا خاصة بعد الانتصارات التي حققها على السفن المسيحية وكذلك إنقاذ آلاف الموريسكيين⁽³⁾. ولفت عروج أنظار سكان الموانئ الجزائرية المحتلة. وفي عام 1512م استنجد به حكام بجاية وعلماؤها وأعيانها ليساعدهم على تحرير بجاية من الإسبان⁽⁴⁾. فوافق عروج وجاء إلى بجاية في شهر أوت 1512م، على رأس إثني عشر قطعة

(1)- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في

عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص25.

(2)- محمود السيد، المرجع السابق، ص165.

(3)- عائشة جميل، المرجع السابق، ص30.

(4)- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص24.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف تركي وبعض المور⁽¹⁾. وظهر أنه من المستحيل على القوة الإسلامية الصغيرة مواجهة الأسطول المتفوق، فقام الأخوان بتنفيذ مناورة خداعية، متظاهرين بالابتعاد بقوتهم عن بجاية، وانطلاق الأسطول الإسباني لمطاردتهم، وعندما دخلت بعض القطع من الأسطول ضمن مجال مدفعيتهما، قاما بمباغتتها وتمكنوا من إغراق سفينتين واستولوا على عدد من السفن كما قاموا بقصف قلعة بيدرونافارو، وحاصروا المدينة لمدة تسعة أيام، وهناك أصيب عروج برصاصة في ذراعه، فاضطر عروج للرجوع إلى تونس للمعالجة، ولم يجد الأطباء علاجاً لذراع عروج سوى بترها⁽²⁾.

ثم أعاد الهجوم في أوت 1514م، بعد أن حرر جيجل وسنتطرق لموضوع تحرير جيجل فيما بعد حيث أنه انطلق من قاعدته الجديدة متجهاً إلى بجاية وهو يقود جيش تعداده عشرين ألف مجاهد لحصار بجاية⁽³⁾، وذلك بالتعاون مع حليفه ابن القاضي حيث شرع في قصف المدينة بمدافع مراكبه، في حين كانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصر المدينة من البر⁽⁴⁾. واشتبك مع الحامية الإسبانية وكان يطمع في القضاء على الوجود الإسباني فيها، استمرت عملية الحصار لكنه أدرك صعوبة دخول المدينة، فقرر العودة إلى جيجل وقضاء فصل الشتاء وإكمال الاستعدادات⁽⁵⁾.

وفي سنة 1515م تلقى عروج طلب مساعدة من أعيان بجاية للقضاء على المسيحيين، فلبى النداء، وانطلق إلى جيجل وأنزل قواته في واد الصومام وقام بإنزال المدفعية برا ودخل قسم من جنوده إلى ميناء بجاية، وسيطروا عليه وانضم إليه قرابة عشرين ألف متطوع من الأهالي⁽⁶⁾،

(1)-فراي ديغوايدو، المرجع السابق، ص17.

(2)-بسام العسلي، المرجع السابق، ص87.

(3)-صالح كلي، المرجع السابق، ص89.

(4)-صالح عباد، المرجع السابق، ص45.

(5)-صالح كلي، المرجع السابق، ص90.

(6)- عزيز سامح التري، المرجع السابق ص ص47-48.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

ونجح الأخوان باحتلال القلعة بفضل مساعدة جنود أحمد بن القاضي، أما القلعة الداخلية فظلت صامدة⁽¹⁾. وقام بقصف الحصن لعدة أيام حتى سقط وهاجموا القلعة وأسروا الكثير من الأسرى، وبعد حصار دام 3 أشهر نفذت الذخيرة فانسحب المتطوعون بعد حصولهم على الغنائم، ورفض السلطان الحفصي دعمهم بالذخيرة، وقدوم المدد من إسبانيا ووصل فصل الشتاء. وهذه كلها ظروف وقفت في وجه عروج في مواصلة مشواره، فاضطر إلى مغادرتها وترك القلعة وحرقت السفن كي لا تبقى غنيمة في يد الأعداء، وعاد إلى جبل مشيا على الأقدام بعد أن خسر جزء كبير من جيشه، فقال لنفسه: (هناك تركت ذراعي، وها أنا سأترك قلعتي أيضا، والله لن أعود حتى أخذها)⁽²⁾.

ولم ينجح عروج ومن معه من الرياس في فتح بجاية، التي بقيت في يد الإسبان إلى غاية 1555م، حين تمكن صالح رايس بالتعاون مع الأهالي لتحريرها من يد المسيحيين⁽³⁾. حيث دخلها صالح رايس في 28 جويلية، وألقى القبض على ستمئة شخص وغنم الكثير من الأسلحة والذخائر الإسبانية، وترك فيها حامية عسكرية على رأسها علي باردو مع ستمئة إنكشاري لحمايتها والمحافظة عليها⁽⁴⁾، وقد شاركت في التحرير مملكة كوكو بثلاثة آلاف رجل⁽⁵⁾. واستسلم الدون ألفونس وتوجه إلى إسبانيا وعندما وصل سجنه الإمبراطور شارلكان وأصدر عليه حكم الإعدام بقطع رأسه أمام الملأ في ساحة مدينة بلد الوليد لعجزه في الحفاظ على مدينة بجاية⁽⁶⁾.

(1)- أنيس عبد الخالق محمود القيسي، المرجع السابق، ص ص108-109.

(2)- عزيز سامح التر، المرجع السابق ص48.

(3)- بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط1-ط2، دار النفائس، بيروت، 1980-1986، ص77.

(4) -Nouara Benali Amar, Ocupacion Espanola De Bugia 1510-1555, Vol12, N3, Algéri, November2022, p425.

(5)- علي بن الشيخ، المرجع السابق، ص335.

(6)- لمارمول كربخال، ج2، المرجع السابق، ص380.

بعد محاولات تحرير بجاية إتجهت أنظار الإخوة إلى جيجل من أجل العمل على تحريرها بعد استنجد أهلها بهم.

تحرير جيجل 1514:

كانت مدينة جيجل °° منذ سنة 1260م محتلة من قبل جمهورية جنوة الإيطالية والتي أقامت بها حامية عسكرية ومركزا تجاريا للتبادل بين شمال غرب المتوسط وشمال إفريقيا. وعندما قام عروج بمهاجمة بجاية أحست حامية جيجل بالخطر وطلبت الدعم من القائد الجنوبي أندري دوريا والذي كان حينها في خدمة ملك فرنسا⁽¹⁾.

فقرر عروج فتح جيجل التي تبعد مسافة 120 كيلومترا عن بجاية غربا لإتخاذها قاعدة للعمليات المقبلة. أين يتم فيها تجميع الوسائط وحشد القوى، وعندما قام عروج بالهجوم على بجاية⁽²⁾. طلب أهالي جيجل من عروج تحرير مدينتهم فلبى طلبهم وهاجم القلعة سنة 1514م فتمكن من القضاء على حاميتها الجنوبية تاركا بها خمسين جنديا وثلاثة سفن من أجل الحماية⁽³⁾. وحسب الرواية المحلية استقر عروج في جيجل فلقب بالسلطان. ولكي يكون قريبا من سكانها لم يفرض عليهم إتاة بل كان كريما فقام بتوزيع حصصا من غنائم القرصنة، أما خير الدين فاستأنف الحركة في البحر متوجها إلى تونس⁽⁴⁾. ولقد لعب أحمد بن القاضي دورا كبيرا في مساعدة عروج على تحرير مدينة جيجل، وكان أحمد بن القاضي قد كون صداقة كبيرة

°° مدينة جزائرية ساحلية تقع في الشمال الشرقي. أصل تسميتها إيجيلجي. وقد أختلف في مصدره بين من يقول قرطاجي أو أمازيغي. يعود تاريخ إنشائها إلى القرن السادس قبل الميلاد أنظر: عبد الكريم شوقي، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، أبريل 2021، ص 411.

(1)-سالم جوامع، المرجع السابق، ص 138.

(2)-صالح خليل، المرجع السابق، ص 89.

(3)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 176.

(4)-شارل فيرو، المرجع السابق، ص 98.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

وتحالف مع القائد عروج وذلك منذ الحملة الأولى على مدينة بجاية، حيث قاد خلالها قبائل الزواوة وبني راثن وقبائل أعالي واد سباو ضد الإسبان⁽¹⁾.

وإستطاع عروج من تحقيق هدف مزدوج فقد تمكن من تحرير أول مدينة من يد الإسبان وحصل أيضا على قاعدة صلبة يمكن له الإنطلاق منها لتطوير أعماله القتالية، وهكذا استقر عروج في جيجل وبدأ في العمل على تحصين قاعدته الجديدة بمساعدة ابن القاضي وقبيلة زواوة⁽²⁾.

بعد أن تمكن الإخوة من الاستقرار في مدينة جيجل واتخاذها قاعدة عسكرية لبوا نداء أهالي مدينة الجزائر فاتجه نحو المدينة من أجل تخليصها من الإسبان.

تحرير مدينة الجزائر 1516م:

في سنة 1516م وبعد وفاة ملك إسبانيا اضطرب وضع المراكز الإسبانية وبدأ سكان الموانئ الخاضعة لإسبانيا يفكرون أن الفرصة قد حانت للتحرر من النفوذ الإسباني فسارع أهل مدينة الجزائر بواسطة رئيسهم سالم التومي بطلب النجدة من عروج لإنقاذهم من الإسبان⁽³⁾، فاستعد عروج بستة عشرة سفينة مجهزة بالمدفعية والذخيرة وثمانمائة جندي، وفي الطريق انضم إليه خمسمائة شخص من بلاد القبائل، واتجه نحو مدينة شرشال وذلك من أجل تأمين مكان يحميه وقت الشدة، وباعتبار شرشال مكان لإستقبال المهاجرين الأندلسيين وضمهم إلى الجيش⁽⁴⁾. فدخل

(1)-سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص15.

(2)-صالح كليل، المرجع السابق، ص89.

(3)-محمد خير فارس، المرجع السابق، ص25.

(4)-عزيز سامح التمر، المرجع السابق، ص50-51.

عروج إلى مدينة شرشال واحتلها، وترك بها حامية لحراسة المدينة ثم دخل مدينة الجزائر، وتم استقباله من طرف سليم التومي والأهالي⁽¹⁾.

طلب عروج من قائد الحامية العسكرية الانسحاب من القلعة، وتسليمها إليه لكنه رفض وذكره بذراعه المبتورة⁽²⁾، فهاجم عروج الحصن الإسباني المقابل للمدينة⁽³⁾، وذلك بقوات قدرت بثمانمائة مقاتل من العثمانيين والمورسكيين أي المسلمين الأندلسيين وحوالي خمسة آلاف مقاتل من المناطق المجاورة⁽⁴⁾، وقد قاموا بفرض حصار على القلعة حيث كانت قوات عروج وأحمد بن القاضي برا⁽⁵⁾. وقام عروج بقصف القلعة 20 يوما لكنه فشل في طرد الإسبان بسبب ضعف مدفعيته، وهذا جعل سكان المدينة يظهرون عدم رضاهم وأسفهم على استدعائهم لعروج كما أن سليم التومي لم يتحمل إستبداد عروج⁽⁶⁾. فقام سليم التومي بتنظيم المكائد بمساعدة الإسبان لطرد الإخوة بسبب تخوفه من إصرار عروج على النصر لكن هذا الأخير تفتن وقام بالقضاء عليه⁽⁷⁾، في منزله وقيل في الحمام، وقيل أن عروج أمر بإعدامه بعد استفتاء علماء الجزائر في ذلك⁽⁸⁾. وقال صاحب تاريخ الدول البرباريك ما نصه عن سبب قتل عروج أعيان مدينة الجزائر "لقد وجد الجزائريون الوسيلة للقيام بمراسلة سرية مع حاكم البرج الإسباني واتفقوا معه بأن يقتل جميع الأتراك وأن يضعوا الجزائر تحت حماية إسبانيا". كما اتفقوا على أن تحرق جماعة منهم أسطول عروج وبينما يخرج الجنود لإخماد الحريق، يغلق الثوار أبواب المدينة ويثورون على عروج، في حين يتوجه الإسبان إلى المدينة ليحتلوها ويعزلوا عروج لكنه تفتن لمكيدتهم

(1)-عزيز سامح التمر، المرجع السابق، ص51.

(2)-نفسه، ص ص51-52.

(3)-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص25.

(4)-نيقولاي إيفانوف، المرجع السابق، ص101.

(5)-علي بن الشيخ، المرجع السابق، ص337.

(6)-فراي ديغو هايدو، المرجع السابق، ص27.

(7)-عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص22.

(8)-لحسن قروود، المرجع السابق، ص48.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

فدبر مكيدة للتخلص منهم فانتظر حلول يوم الجمعة عندما دخل الأعيان إلى المسجد الجامع لأداء الصلاة فأغلق الأبواب وقتل منهم ما قتل(1).

وحسب المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان فإن المؤامرة دبّت بين الثعالبية والإسبان وأهل مدينة الجزائر للتخلص من عروج وقراصنته وفرض عروج سيطرته وسلطته على المدينة مدعوماً بالأتراك وأهالي جيجل، ففر ابن سالم التومي المدعو يحيى إلى الإسبان في وهران ومنها أرسل إلى طليطلة أين كان الكاردينال خيمينيس يدير المملكة الإسبانية بعد وفاة الملك فرديناند(2).

ولما رأى الإسبان قوة عروج وخطره جهزوا حملة عسكرية في سبتمبر 1516 تحتوي على ثلاثمائة وعشرين سفينة وخمس عشر ألف مقاتل إلا أن الحملة فشلت وتمكن عروج من القضاء عليها، كما أن الأحوال الجوية ساهمت في تحطيم نصف السفن الإسبانية بسبب هيجان البحر(3).

وبعدها أخذ عروج يوسع ملكه فامتد إلى المدينة ومليانة(4). ثم قرر الانتقال إلى تنس وإخضاعها فذهب إلى المدينة على رأس قواته(5). فسار إليها برا، في شهر جوان 1517م على رأس جيش مؤلف من ألف تركي وفرق من المجاهدين الأندلسيين، كما سار إليها خير الدين بحرا، وعند وصول الجيش انهزم أمير تنس وتم قتله وطرد الإسبان المتمركزين بها. وبعدها قام عروج بتعيين أخاه خير الدين على المقاطعة الشرقية ومقرها دلس التي افتتحها هذا الأخير دون مقاومة، والمقاطعة الغربية أشرف عليها عروج بنفسه ومقرها مدينة الجزائر(6).

(1)- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص ص 108-109.

(2)- صالح عباد، المرجع السابق، ص 47.

(3)- عائشة جميل، المرجع السابق، ص 37.

(4)- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 24.

(5)- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص 108.

(6)- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص ص 185-186.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

بعدما تمكن عروج من تحصين مدينة الجزائر وكسر شوكة الإسبان وقوتهم في البينيون. توجه إلى مدينة تلمسان لنجدتهم.

تحرير مدينة تلمسان 1518م:

في ذلك الوقت كانت تلمسان مسرحا للتنافس على الحكم بين أفراد البيت الزياني بين أبوحمو الثالث الذي طلب مساعدة الإسبان للوصول إلى الحكم وبين ابن أخيه أبو زيان المسعود⁽¹⁾، الذي أرسل وفدا إلى عروج يشكوا له الأوضاع في المدينة، ويناشده أن يسارع لنجدتهم من أبي حمو الثالث، ولم يتأخر عروج في الاستجابة⁽²⁾. فاتجه إلى تلمسان ومر على قلعة بني راشد ووضع فيها حامية عسكرية تحت قيادة أخيه إسحاق، ثم زحف إلى تلمسان وهذا ما جعل أبي حمو الثالث يفر إلى وهران ليستنجد بالإسبان، ونصب عروج على كرسي العرش أبي زيان الثالث (المسعود). أما أبي حمو بعد تحالفه مع الإسبان إتجه مع القوات الإسبانية إلى قلعة بني راشد وحاصروها وقتل فيها إسحاق وجنوده، ثم بعدها توجهوا إلى تلمسان وحاصروها مدة ستة أشهر وتمكنوا بعدها من دخولها، مما جعل عروج ينسحب إلى مكان يدعى بني يزناس⁽³⁾. وفي هذا توجد روايتين على كيفية انسحابه:

الرواية الأولى: على أنه أسرع باللاحق بساحل البحر حيث سيجد مراكب أخيه خير الدين والتي ستقوم بنجدة فخرج ليلا حاملا معه كنوز بني زيان واخترق الخطوط الإسبانية.

الرواية الثانية: والتي تقول إنه إتجه إلى عين تموشنت في الطريق إلى وهران ولا يعقل أن يفر إلى طريق وهران حيث يتواجد الإسبان ويترك طريق فاس⁽⁴⁾.

(1)- عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص23.

(2)- طاهر تومي، المرجع السابق، ص39.

(3)- عائشة جميل، المرجع السابق، صص38-39.

(4)- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص50.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

وعندما علم الإسبان بخروجه لاحقوه وقتلوه بنواحي المويلح قرب الحدود المغربية سنة 1518م، وبمقتله أعيد أبوحمو الثالث إلى عرش تلمسان⁽¹⁾.

هذه نتائج التقارب والتعاون الذي ساد بين الإخوة بربروس وبعض القوى المحلية، فما هي نتائج الاصطدامات بينهما؟ هذا ما سنتعرف عليه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: نتائج تنافر وصدام الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

خلال القرن السادس عشر، شهد الحوض الغربي للمتوسط اضطرابات سياسية كبيرة كنا قد تناولها سابقا. وهذه الاضطرابات كانت مرتبطة بالصراعات بين الإخوة بربروس والقوى المحلية. وفي هذا المبحث سنتطرق إلى أبرز الاضطرابات السياسية بين السلطة والقوى المحلية، وكذا المخاطر الناجمة عن الصراع بين الطرفين.

أولا: الاضطرابات السياسية السائدة.

كانت الاضطرابات السياسية في المغربين الأوسط والأدنى خلال القرن السادس عشر جزءا من عملية تحولات تاريخية، بما في ذلك الصراعات مع القوى المحلية والسلطة العثمانية، وهذه الاضطرابات ساهمت في اضمحلال هذه القوى المحلية. والبداية تكون بالدولة الحفصية.

أ/-الدولة الحفصية:

بالنسبة للدولة الحفصية (627-948هـ أي 1229-1541م)، فقد حكمت بعض مناطق الجزائر لمدة 312 سنة، وقد انهارت قوتها بسبب الحروب المتواصلة مع الولايات التابعة لها، وبسبب الحروب المستمرة مع الدول الأوربية التي كانت تريد أن تنتقم منها. وفي عام 1513م تحالف السلطان الحسن بن محمد مع الإسبان ضد الأتراك.

(1)-عائشة جميل، المرجع السابق، ص39.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

وفي 24 سبتمبر 1573م/25 جمادي الأول 981هـ سقطت تونس في يد الأتراك ووقع في الأسر ملكها محمد بن الحسن، وبذلك انتهت الدولة الحفصية بعدما حكمت 354 سنة في تونس(1).

وعرفت هذه الدولة في حياتها دور الصعود والعظمة إلى خلع الوائق، ثم دور الاضطراب والفتن إلى خلافة أحمد الأول، ثم الانتعاش إلى موت أبي عمر عثمان، ثم دور الاحتضار إلى قبض الأتراك علي محمد السادس، ومن غرائب الاتفاق أن الدولة العثمانية التي حلت محل الحفصيين انتهت أيضا بخلع محمد السادس وحيد الدين(2).

ب/- الدولة الزيانية:

إن الدولة الزيانية بالجزائر (633هـ-936هـ/1236-1530م)، قد حافظت على كيانها لمدة 294 سنة. لكن الصراعات الداخلية والحروب المتواصلة أنهكت الدولة بحيث أصبح سلاطين الدولة الزيانية يستنجدون بالإسبان ويتحالفون معهم للبقاء في الحكم. وبفضل التعاون بين الأتراك والأخوان عروج وخير الدين والمقاومة، تم إبعاد الخطر الإسباني عن تلمسان(3).

وانتهت دولة بني زيان بعدما حكمت مدة ثلاثمائة سنة وعامين منها، 104 أعوام باسم دولة بني عبد الواد، و198 عاما باسم دولة بني زيان(4).

ت/- إمارة الثعالبة:

ومن أبرز الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة، والتي أثير حولها الكثير من الجدل هو مقتل سالم التومي، فقد اختلفت الروايات التاريخية حول تلك النهاية كما أشرنا سابقا، ولكن مهما اختلفت الروايات فإن الذي حدث هو نهاية الشيخ سالم التومي، وانتهت معه مشيخة الجزائر(5).

(1)-عمار بوحوش، المرجع السابق، ص50.

(2)-مبارك بن محمد الملي، ج2، المرجع السابق، ص412.

(3)-عمار بوحوش، المرجع السابق، ص50.

(4)-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص34.

(5)-كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص46.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

والتي سقطت حول مدينة الجزائر وذلك منذ دخول عروج إلى المدينة، وكذلك وقوف الزيانيون ضدها من جهة البر والإسبان من البحر، كل هذه الأحداث ساهمت بشكل مطلق في سقوطها⁽¹⁾.

ث/- إمارة كوكو:

بعد تأكد خير الدين من قوته واستيلاء أهالي مدينة الجزائر من ابن القاضي، هاجم المدينة وهزم ابن القاضي، وقتل هذا الأخير على يد أتباعه وحملوا رأسه إلى خير الدين علامة على خضوعهم، ودخل خير الدين الجزائر سنة 1525م، ثم قمع ثورات شرشال وتنس وقسنطينة⁽²⁾. وتمكن خير الدين من القضاء على ثورة ابن القاضي سنة 1525م⁽³⁾. وبعد وفاة ابن القاضي وأولاده الذين كانوا في حالة حرب وسلم مع الأتراك عرفت هذه الإمارة ضعفا مع نهاية القرن 16م⁽⁴⁾. وذلك عندما انتقلت السلطة إلى سي عمر أحد أقرباء ابن القاضي سنة 1583م، والذي فقد سند السكان له نتيجة لسياسة السخرة اتجاههم بفرض الضرائب وتصدير محاصيلهم، وكذلك ظهور الحروب أثناء حكم أولاده الشيء الذي أضعف المملكة والتي تقلصت نفوذها إلى مناطق محدودة⁽⁵⁾، وعند وفاته استولى أخوه أحمد بوختوس على السلطة، وأصبحت المملكة تنسب إليه، في عهد سي أحمد بن سي عمر نقلت العاصمة من كوكو إلى أورير في بني غبري، بعد التونسي انقسمت المملكة إلى صفين: الصف الفوقاني بقيادة أورخو، والصف التحتاني بقيادة سي علي الإبن الثاني للتونسي. دخل الصفان في حرب حقيقية الشيء الذي أضعف المملكة، ولم تعد تسيطر إلا على أعالي سباو وقبائل الساحل البحري⁽⁶⁾.

(1)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 138.

(2)- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 32.

(3)- أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص 55.

(4)- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص 21.

(5)- صالح عباد، المرجع السابق، ص 113.

(6)- نفسه، ص 113.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

وبعدها عرفت إمارة كوكو انقسام على نفسها، حيث قامت عدّة قبائل لتحل مكانها في منطقة القبائل كقبيلة عمراوة، وأخطرها ما تعرض له الأتراك في المنطقة هو مقاومة قبيلة فليسة القوية⁽¹⁾.

ج/- إمارة تنس:

دامت ثورة تنس (سويد) المشهورة عند العامة بثورة المحال ما يقارب القرنين إلى غاية 1700م، إلا أنها كانت جهوية محدودة، ولم تعط لها أهمية كبرى، بل كانت كغيرها من الثورات والتمردات كثورة الذواودة وغيرها من القبائل⁽²⁾.

ج/- إمارة بني عباس:

هذه الإمارة لم تندثر بل عرفت عدة انقسامات وعدة مشاكل مع الحكم العثماني واستمرت في حركات التمرد ورفض دفع الضرائب المفروضة عليها، وبقيت انقسامات أسرة بني عباس مدى العهد التركي بأكمله، ومن هذا الانقسام ظهر فرع المقرانيين المرابطين في بجاية وجيجل⁽³⁾.

ثانيا: المخاطر المترتبة عن الصراع.

أدت صراعات الإخوة بربروس والقوى المحلية في المغربين الأوسط والأدنى خلال القرن السادس عشر إلى حالة من عدم الاستقرار والاضطراب وظهور مخاطر وخيانات وتحالف مع الأجانب. وهذا ما سوف نتطرق إليه فيما يلي، والبداية تكون بالتحالف الحفصي الإسباني.

(1)-صالح عباد، المرجع السابق، صص 159-161.

(2)-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص 42.

(3)-صالح عباد، المرجع السابق، ص 108.

التحالف الحفصي الإسباني:

لقد حقق خير الدين بدخوله تونس انتصارا كبيرا، حيث أصبح بإمكان الجزائر توسيع نطاقها من ناحية الشرق حتى تونس، والتي تعد بوابة الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط⁽¹⁾.

أمام هذه المخاطر الجديدة أصبحت المملكة الإسبانية وإمبراطورها شارل الخامس^{°°} أكثر تصميمًا على تجهيز حملة قوية يتم بواسطتها التعويض عن الهزائم السابقة، والتي زعزعت هيبة الإمبراطورية التي فرضت نفسها على زعامة الغرب، فوجه أنظاره إلى تونس⁽²⁾. وما زاد من تصميمه استنجد مولاي الحسن المخلوع به سنة 1534م طالبا إياه المساعدة في استعادة عرشه والقضاء على خير الدين⁽³⁾. فقد وجد شارلكان في الخطاب الذي بعثه له السلطان الحفصي، إثر نصيحة قدمها له علج جنوي كان صديقا لمولاي الحسن، واسمه "أكسيما أو خيما"، فرصة مناسبة تمكنه من الاستيلاء على تونس وطرد العثمانيين منها، وقد أرسل السلطان الحفصي خطابه إلى شارلكان يستعطفه، ويتعهد له بالتبعية مقابل إعادة ملكه والقضاء على بربروس⁽⁴⁾.

أمام استيلاء الأتراك على تونس وقبل أن يستغيث مولاي الحسن بشارلكان، كان أندريا دوريا قد حث الملك الإسباني على التحرك لطرد الأتراك من تلك البلاد، وقد استغلت إسبانيا ضمان حياد الملك فرانسوا الأول⁽⁵⁾، ووجود الجيش العثماني في بغداد. كانت هذه العوامل دافعا قويا لشارلكان من أجل غزو تونس، وليس رغبة في إعادة الملك الحفصي إلى عرشه أو دفاعا عن فرسان مالطة، وإنما من أجل أن يضمن لنفسه قاعدة عسكرية مهمة على الضفة الجنوبية

(1)- عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص195.

^{°°} ورد اسم الإمبراطور شارلكان بعدة صيغ: شارل الأول، شارل الخامس، شارل كوينت، شارلكان، تشالز، كارلوس. وذلك حسب المصادر والمراجع.

(2)- صالح خليل، المرجع السابق، ص141.

(3)- صالح عباد، المرجع السابق، ص62.

(4)- درويش الشافعي، الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة

غرداية، الجزائر، سبتمبر 2017م، ص5.

(5)- جون وولف، المرجع السابق، ص47.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

للبحر المتوسط، ولتأمين السواحل الإيطالية من غارات الأتراك والجزائريين، ومن أجل تأمين خطوط المواصلات البحرية بين إسبانيا وإيطاليا⁽¹⁾.

فأعد شارلكان حملة كبيرة انطلقت من برشلونة لاحتلال تونس⁽²⁾. وقرر أن يقود هذه الحملة بنفسه⁽³⁾. وفي 1535م وصلت الحملة إلى سواحل مدينة تونس، فحاول خير الدين التصدي لها ولكن إمكاناته كانت ضعيفة فهو لا يملك القوة الكافية لصد هذه الحملة الضخمة، لذلك كان النصر حليف الإسبان الذين تمكنوا من السيطرة على حلق الوادي وهو مرسى مدينة تونس⁽⁴⁾،

ونصب شارلكان الحسن على كرسي الحفصيين وأشرك معه في النظر أحد قواد العساكر الإسبانية، أما خير الدين ترك تونس لصاحبها وللمحتلين الطغاة⁽⁵⁾.

ومن أهم نتائج المعركة نذكر:

- 1- الدعم القوي الذي تلقته الحملة من قبل الدول المسيحية كان كسابقة لم تحدث من قبل.
- 2- انشغال الدولة العثمانية بالفتوحات في شرق أوروبا كان سببا في نقص دعمها للثورة التونسية.
- 3- الخبرة الكبيرة للقائد أندري دوري في حروبه ضد العثمانيين سمحت بتفوق الصف المسيحي.
- 4- الخيانة في الأوساط الرسمية والشعبية التونسية وانقسام المجتمع التونسي بين مؤيد ومعارض للحملة زاد من الالتباس وزيادة الصراعات الداخلية⁽⁶⁾.

(1)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 257.

(2)- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 21-22.

(3)- لمارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج 3، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ص 32.

(4)- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 129-130.

(5)- حسن حسين عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 126-127.

(6)- كمال فيلاي، المرجع السابق، ص 126.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

ولقد كانت هذه الكارثة من أقسى الكوارث التي تعرضت لها تونس⁽¹⁾. فعندما دخلت جيوش شارلكان المدينة نهبوا وقتلوا وفسقوا وارتكبوا كل أنواع المحرمات وهدموا المساجد وحرقوا ومزقوا أغلب الكتب النفيسة⁽²⁾.

وهذا ما جعل السلطان التونسي يعقد معاهدة مع شارلكان نصت على ما يلي:

- 1- اعتراف الدولة الحفصية بتبعيةها للدولة الإسبانية.
- 2- التزام السلطان ألا يدخل بلاده أحدا من مهاجري الأندلس، يهوديا كان أو مسلما.
- 3- يجب أن يتم إطلاق جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس، والسماح للمسيحيين بأداء جميع شعائهم الدينية بكل حرية.
- 4- يجب على السلطان الحفصي أن يقدم كل سنة 12 حصانا و12 مهورا للإمبراطور.
- 5- الإنفاق على الجنود المقيمين في حلق الوادي أي دفع 12.000 دوقية.
- 6- الملكية المطلقة للإسبان على ميناء حلق الوادي وقرطاجة وعنابة والمهدية.
- 7- إذا خالف مولاي الحسن عن أي شرط، يلزم عليه دفع 50.000 دوقية، وفي المرة الثانية 100.00، وفي المرة الثالثة تؤخذ البلاد منه⁽³⁾.

وماكاد خير الدين أن يغادر عنابة بعد أن انسحب إليها من تونس سنة 1535م ويعود إلى مدينة الجزائر، حتى هاجمته جيوش الإسبان في عنابة التي كانت تابعة اسميا لسلطان بني حفص بتونس، التي تنازل عنها هذا السلطان للإسبان بموجب المعاهدة التي عقدت بين الطرفين. فهاجم

(1)- إلهام يوسف، ولاء علي صقر، الصراع الإسباني العثماني على تونس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية،

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 5، 2018، ص 408.

(2)- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1401هـ-1981م، ص 233.

(3)- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 263.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

الإسبان المدينة في أوت 1535 وبعد مقاومة دامت ثلاثة أيام انسحب أهلها منها. وأقام فيها الإسبان حامية عسكرية تتولى حراستها(1).

أما السلطان الحفصي فقد استغل هزيمة خير الدين، فأعد في مارس 1536م، حملة لاسترداد مدينة قسنطينة من العثمانيين، مدعياً أن سكانها قد طلبوا منه تعيين حاكم لهم. ولكن هدفه لم يتحقق وفشل(2).

ونجحت حملة شارل الخامس على تونس ووصل صداها إلى السلطان الزياني الذي استغل الموقف وعمل على التقرب من الإسبان. وهذا ما سوف نراه فيما يلي.

التحالف الإسباني الزياني:

عندما وصلت أنباء هزيمة خير الدين في تونس أمام شرلكان لم يتردد السلطان الزياني محمد بن عبد الله في التقرب من الإسبان. فعرض عليهم في أوت 1535م أن يكون تابعا لهم، فأرسل إلى الإمبراطور رسالة يتعهد فيها أن تكون هنالك معاهدة صلح بينهم لمدة عشرة أعوام. وطلب من الإسبان ألا يقبلوا في مدينة وهران ابن رضوان ولا حفيده ولا أحدا من رجاله، وتوعد أنه إذا ما فتح الإمبراطور مدن الجزائر وشرشال وتنس فله أن يبقيها تحت سلطته(3)، وأن يدفع الضريبة له، وأن يسلم لهم الأسرى الذين وقعوا تحت قبضته في المعركة التي خاضها جيشه مع القوات الإسبانية التي جاء بها أخوه عبد الله من وهران لانتزاع الملك منه. وأبدى استعداداه أن يقبض على خير الدين إن التجأ إليه بعد هزيمته ويسلمه إليهم(4).

إلا أن الإمبراطور رأى أنه ليس من الضروريه توقيع معاهدة مع سلطان ضعيف، في الوقت الذي كان فيه أخوه مستعدا لتسليم كل شيء مقابل أن يجلسوه على عرش تلمسان، وظل السلطان محمد

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص264.

(2)-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص41.

(3)-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، صص258-259.

(4)-نفسه، صص259-260.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

يتوسل للإسبان لكسب ودهم إلى غاية هزيمتهم في حملة شارلكان على الجزائر 1541م، أين أعاد النظر في سياسته وأعلن ولاءه وتبعيته للأتراك من جديد⁽¹⁾.

كان أيضا لهزيمة خير الدين في تونس تأثير كبير على موقف سلطان تنس فمال إلى التقرب من الإسبان.

تحالف سلطان تنس مع الإسبان:

أثناء هزيمة خير الدين، وتردد أنباء حملة أخرى على الجزائر، أبدى سلطان تنس حميدة العبد في سنة 932هـ-1517م استعداداه للمساهمة في الحملة المنتظرة على الجزائر بثلاثة آلاف من حملة الرماح، وكذا توفير الأغذية للقوات الإسبانية بسعر مناسب. وذلك من أجل الفوز بصداقة الإسبان، والحصول على دعمهم في القضايا التي يعرضها عليهم، ولكن ذلك كان بدون جدوى فمال عنهم وانتهى أمره متذبذب الولاء⁽²⁾.

حملة شارلكان على الجزائر 1541:

سعى شارلكان جاهدا إلى خلق كتلة أوروبية قوية تجابه العالم الإسلامي ورد الاعتبار للشرف الإسباني الذي تحطم على يد العثمانيين أمام الجزائر عدة مرات عام 1516م، 1519م، 1531م، وكسر التحالف الفرنسي العثماني الذي يشكل خطرا كبيرا على سياسته في أوروبا وإفريقيا، وتخفيف الضغط العثماني خاصة بعد استيلائهم على المجر عام 1526م وحصار فيينا 1529م⁽³⁾، ورغبة منه في الانتقام من الهزيمة العظيمة التي تعرض لها الأسطول الإسباني في معركة بروزة في عام 1538م، وازدياد الحملات العسكرية لرفع شكاوى إلى الإمبراطور بسبب الغارات المتكررة، فبعد انتصار بروزة وطرد الإسبان من الجزائر سيطر البحارة العثمانيون على شرق

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص307.

(2)-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص40.

(3)-محمد قن، علجية مقيش، حملة شارلكان على الجزائر عام 1541م ونتائجها، مجلة أفاق للعلوم، مجلد7، العدد4، الجلفة، 2022م، ص303.

الفصل الثالث:

تداعيات علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية.

وغرب البحر المتوسط مما صعب على شارلكان السفر من برشلونة إلى نابولي، واعتقاده أن الحملة سوف تخفف الضغط العثماني على النمسا وألمانيا حيث سوف تضطر الدولة العثمانية توجيه قواتها إلى جبهة القتال الجديدة⁽¹⁾.

استغل شارلكان وجود خير الدين بالشرق لقيادة الأسطول العثماني ظنا منه أن غيابه صدع الوحدة⁽²⁾. كما أن للحقد الديني الموروث عن الحروب الصليبية ضد الشعوب الإسلامية عامة والجزائر خاصة دور لشن هذه الحملة من أجل الإنتقام والتنصير ونشر المسيحية ومحاربة الإسلام ومطاردة الأندلسيين⁽³⁾، بالإضافة إلى تقارير الجواسيس التي ذكرت أن الثورات المحلية ليست قادرة على الدفاع عن المدينة⁽⁴⁾.

شرع الإمبراطور شارلكان في عملية تنظيم حملة في صيف عام 1541م⁽⁵⁾، وقد أولى لهذه الحملة أهمية بالغة فجمع لها إمكانات بشرية ومادية ضخمة بدعم من الكنيسة الكاثوليكية⁽⁶⁾.

تم تجهيز أسطول ضخم مكون من ستة عشر سفينة شراعية، وخمسة وستون سفينة نقل عسكرية كبيرة تحمل إثني عشر وثلاثمائة بحارا، وثلاثة وعشرون وتسعمائة جنديا بالإضافة إلى مئات القطع البحرية الصغيرة التي كانت ترافق الأسطول⁽⁷⁾. وشارك في هذه الحملة ملوك أوروبا، ألمانيا، إيطاليا، فرسان مالطة والبابا يوحنا بولس الثالث⁽⁸⁾.

(1)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 273-274.

(2)-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 271.

(3)-محمد قن، علجية مقيدش، المرجع السابق، ص 303.

(4)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 274.

(5)-مبارك بن محمد الهلالي الملي، ج 3، المرجع السابق، ص 64.

(6)-صالح عباد، المرجع السابق، ص 65.

(7)-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس...، المرجع السابق، ص 277.

(8)-طاهر تومي، المرجع السابق، ص 101.

أما حسن آغا ما أن وصلتته أخبار الحملة حتى بدأ يستعد لها معتمدا على المعلومات التي كانت تصله من طرف جواسيسه بمرسيليا وطولون⁽¹⁾.

وبينما كانت الاستعدادات قائمة لمواجهة الخطر الإسباني المنتظر، ظهر الأسطول أمام مدينة الجزائر يوم الأربعاء 17 جمادي الثانية 948 هـ الموافق ل 19 أكتوبر 1541م⁽²⁾.

حاول شارلكان استمالة خير الدين بإرسال جواسيس إلى إسطنبول للاتصال به والتفاوض معه مقابل تعيينه ملكا على شمال إفريقيا، واعتراف إسبانيا بملكيته، مقابل اعترافه بتبعيته لشارلكان ودفعه لجزية سنوية، لكن المفاوضات فشلت وهذا ما جعل شارلكان يحاول التفاوض مع حسن آغا الذي راسله لإقناعه بالاستسلام بعد أن باتت مدينة الجزائر مطوقة⁽³⁾، فأجابه بقوله: (...ولقد أتيت لهذه المدينة مرتين، مرة في مدة عروج راييس، ومرة في مدة أخيه خير الدين باشا، وقد سود الله وجوهكم فيهما، وفي هذه المرة كذلك إن شاء الله)⁽⁴⁾.

ولما فشل شارلكان في كسب قوة خير الدين عن طريق المفاوضات، لم يبق أمامه غير الحرب⁽⁵⁾، وبدأت المعركة يوم 25 أكتوبر أي شهدت منعرجا حاسما إثر هبوب عاصفة جوية ساعدت جيوش حسن آغا على الهجوم وهزيمة شارلكان وجيوشه الذي انسحب بعد انتهاء المعركة في صبيحة 26 أكتوبر 1541م⁽⁶⁾، وخسرت الإسبان مئة وثلاثون سفينة وسبعة عشر قديس ومئتين مدفع وأربعمائة حصان⁽⁷⁾.

(1)-محمد قن، علجية مقيدش، المرجع السابق، ص 304-305.

(2)-عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص 240.

(3)-محمد قن، علجية مقيدش، المرجع السابق، ص 305.

(4)-محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، المرجع السابق، ص 117.

(5)-محمد قن، علجية مقيدش، المرجع السابق، ص 306.

(6)-عبد الحميد قسول، إسهامات خير الدين بربروس (1518-1543م/924-950هـ) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق

الدراسات الحديثة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 8، العدد 1، بوزريعة، 2023، ص 73.

(7)-طاهر التومي، المرجع السابق، ص 105.

وأثناء الحملة سار ابن القاضي على رأس قواته للمشاركة فيها، وحسب هايدو فإن هذا الأخير قد زود شارلكان بالأغذية، ولعل ذلك في بجاية عندما كان هذا الأخير في أمس الحاجة إليها⁽¹⁾.

كان لهذا النصر صداه العميق على ضفتي البحر المتوسط من جهة فالمنهزم هو شارل كوينت إمبراطور أوروبا⁽²⁾، وأكسب إنهزام هذا الأخير شهرة واسعة للجزائر، أهلها موقعها الحصين ومينائها المنيع لأن تصبح معقلا بحريا ذا شأن، فأصبحت مهابة الجانب يصعب غزوها بسبب التعزيزات العسكرية والتحصينات المحكمة التي أخذت تتشكل حولها⁽³⁾.

(1)-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص41.

(2)-نجيب دكاني، المرجع السابق، ص101.

(3)-عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق، ص248.

استنتاج:

خلال القرن السادس عشر، شهدت علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية تحولات متعددة، حيث انتقلت من علاقات تحالفية إلى علاقات تنافر وصدام، وترتب عن ذلك مجموعة تداعيات. حيث ساهم التحالف بين الطرفين إلى تعزيز الوجود العثماني في المنطقة واستقرار سياسي وكذا تصفية السواحل من الهيمنة الإسبانية.

في حين أدى تصادم الإخوة بربروس مع القوى المحلية إلى ظهور الاضطرابات السياسية واضمحلال هذه القوى، وكذا ظهور التحالف بين الإسبان وبعض زعماء القوى المحلية من أجل البقاء في الحكم أو تحقيق غرض شخصي، فمثلا نجد التحالف الحفصي الإسباني في سنة 1535م، وأيضا التحالف الزياني مع الإسبان.

خاتمة

من خلال دراستي لموضوع الإخوة بربروس والقوى المحلية في المغربين الأوسط والأدنى، توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

إن سقوط غرناطة سنة 1492م أدى إلى موجة هجرة كبيرة للمورسيكين إلى المغرب الأوسط، مما أتاح للإسبان ذريعة القيام بحملات لاحتلال السواحل المغربية.

إن التطورات السياسية التي عرفت منطقة البحر الأبيض المتوسط منذ النصف الثاني من القرن 15م قد أدت إلى ظهور قوتين كبيرتين تتصارعان فيما بينهما، هما الدولة العثمانية المسلمة، والدولة الإسبانية المسيحية، وهذا الصراع قد انتقل خلال مطلع القرن 16م من الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلى الحوض الغربي له.

لقد استنجد أعيان مدينة الجزائر بالإخوة بربروس لما ضاقوا ذرعا بالمضايقات الإسبانية التي كانت تزداد يوما بعد يوم، وذلك بسبب الضعف وعدم التكافؤ في الإمكانيات بين الطرفين. وكان آنذاك صيت الإخوة بربروس قد ذاع في الحوض المتوسط، بعد أن اشتهروا بمحاربتهم للنصارى في الحوض الغربي للمتوسط.

كان لظهور الإخوة بربروس في الجزائر دورا هاما في إنقاذ المغرب الأوسط من الاحتلال الإسباني الصليبي ونستطيع أن نقول إنه لولا التواجد العثماني لكان المشروع الإسباني قد تحقق دون شك.

قامت السلطة العثمانية منذ أن وطأت أقدامها المغربين الأوسط والأدنى تثبيت حكمها، وذلك بإقامة علاقات مع الزعامات المحلية، حيث كانت تتسم هذه العلاقة بالتحالف تارة وبالصدام تارة أخرى. وذلك حسب مصالح كل طرف ولهذا وجدت السلطة العثمانية عدة صعوبات في تنظيم أمورها بالجزائر وتونس.

أدت التمردات المحلية إلى ظهور تحالفات بين القوى المحلية والإسبان، مما أدى إلى صراعات بين الإخوة بربروس وبين القوى المحلية المدعومة من الإسبان.

خاتمة.

إن السلطة العثمانية قامت بقتل أغلب رؤساء الزعامات المحلية، بسبب معارضتهم لتواجدهم في المنطقة، وتحالفهم مع الأعداء، وهذا ما جعل الأهالي ينقسمون بين مؤيد ومعارض لهذه السياسة اتجاه زعمائهم. ومصير هذه الإمارات المحلية كانت إما الزوال أو انعدام تأثيرها في المجتمع.

العلاقة بين القوى المحلية وآل بربروس رغم اضطرابها في بعض الأحيان إلا أنها ساهمت في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر.

لم يتوقف النفوذ العثماني عند حدود المغرب الأوسط فحسب، بل حاول خير الدين توسيعه إلى المغرب الأدنى الذي قام بغزوه سنة 1535م.

تعتبر الهزيمة التي تعرض لها الأسطول الإسباني بقيادة شرلكان سنة 1541م أكبر هزيمة يتعرض لها الإسبان في الجزائر، حيث تغلبت هذه الأخيرة على التحالف الأوروبي الذي كان ضدها، وشكل هذا الانتصار منعطفًا حاسمًا في تاريخ المغرب الأوسط، وكان عاملاً مهماً في تثبيت أركان هذه الدولة وتوسيع سلطتها، وهذا مكنها من تصفية الوجود الإسباني.

وفي الأخير نرجو أننا استطعنا تحقيق ولو جزء بسيط من الأهداف المرجوة والإجابة على الإشكالية المطروحة.

وشكراً.

الملاحق

فهرس الملحق:

الملحق(1): خريطة التحرشات الإسبانية على موانئ الشمال الإفريقي في القرن 16م.

الملحق(2): الخريطة السياسية للمغرب الأوسط في مطلع القرن 16م.

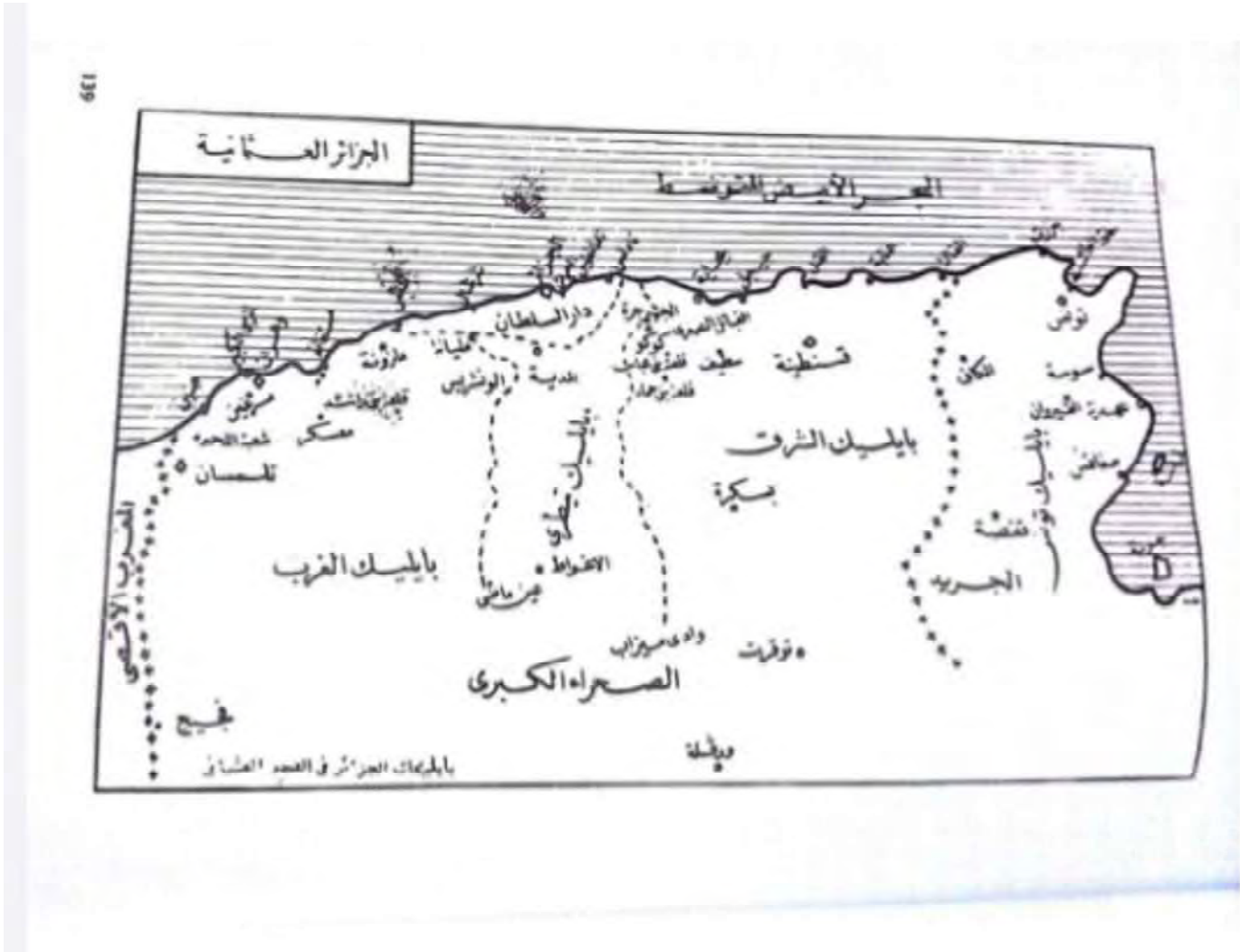
الملحق(3): بابا عروج (بربروس الأول).

الملحق(4): خير الدين (بربروس الثاني).

الملحق(5): خريطة تبين موقع الإمارات المحلية.

الملحق(6): الحملة الإسبانية على تونس 1535م.

الملحق(7): حملة الإمبراطور الإسباني شارلكان على مدينة الجزائر 1541م.



94

الملحق(3): بابا عروج (بربروس الأول).

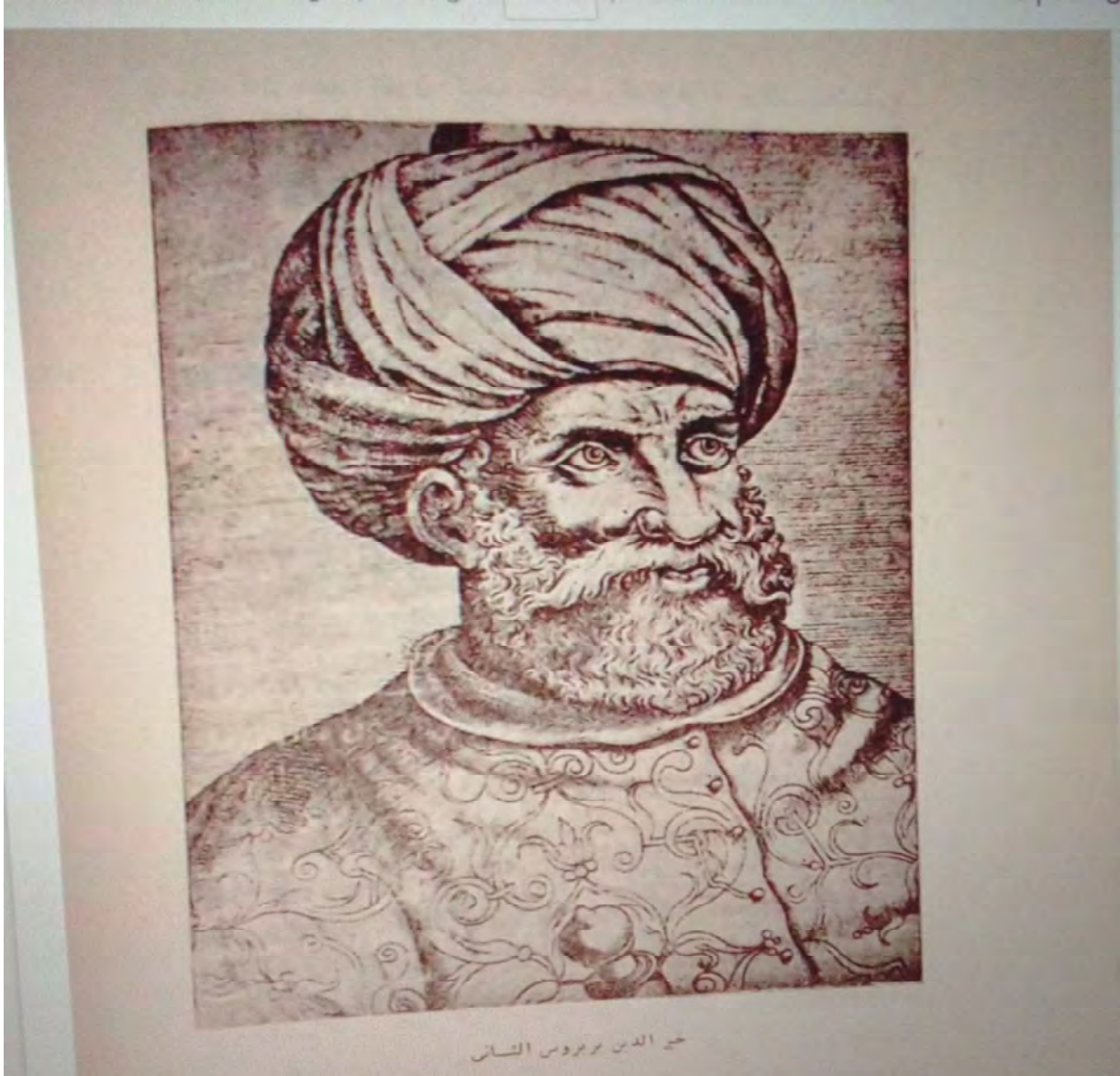


Baba - Arroudj (Barberousse 1er)

بابا عروج (بربروس الأول)

-مولود قاسم نايت بلقاسم، ج1، المرجع السابق، ص59.

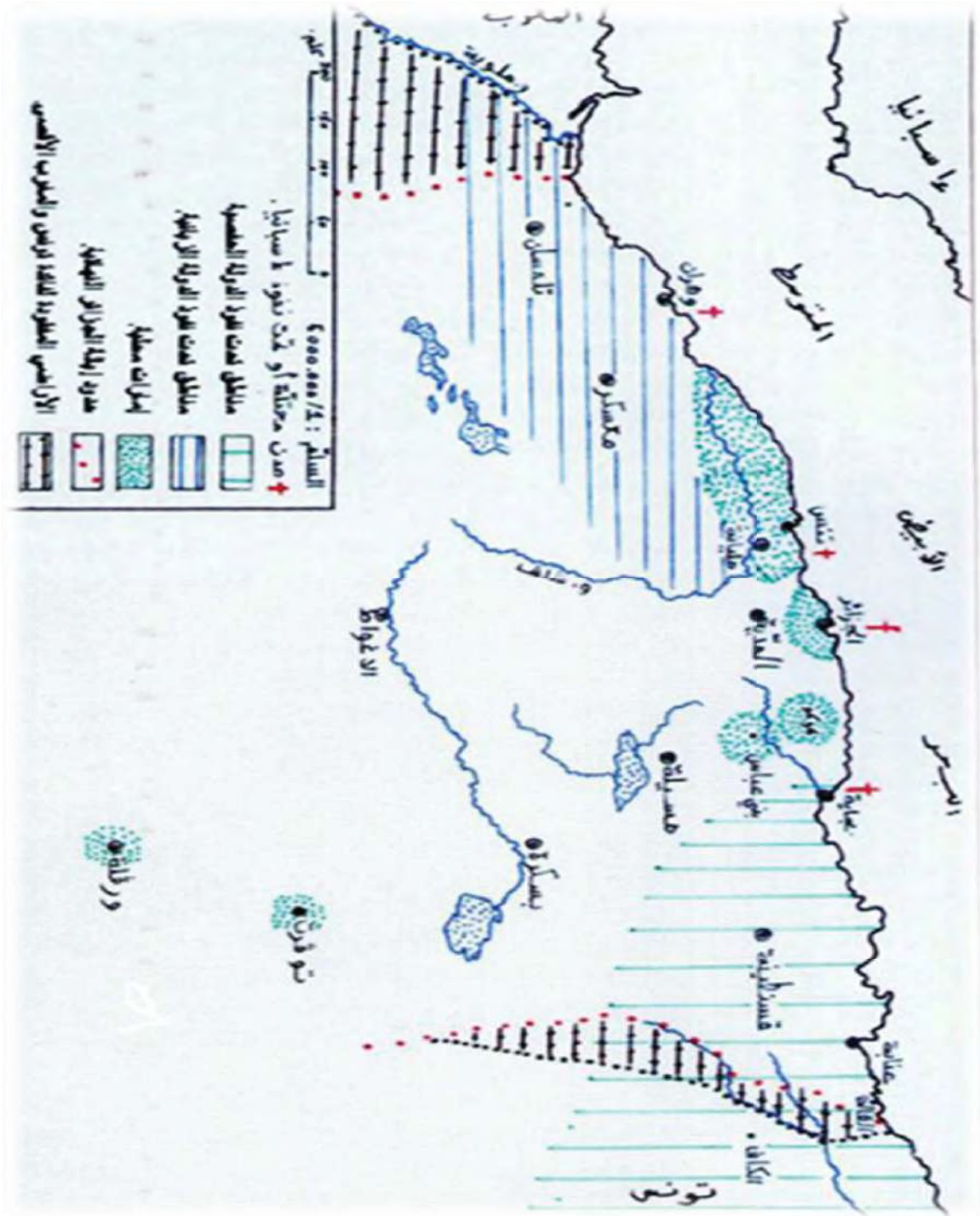
الملحق(4): خير الدين (بربروس الثاني).



-عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص130.

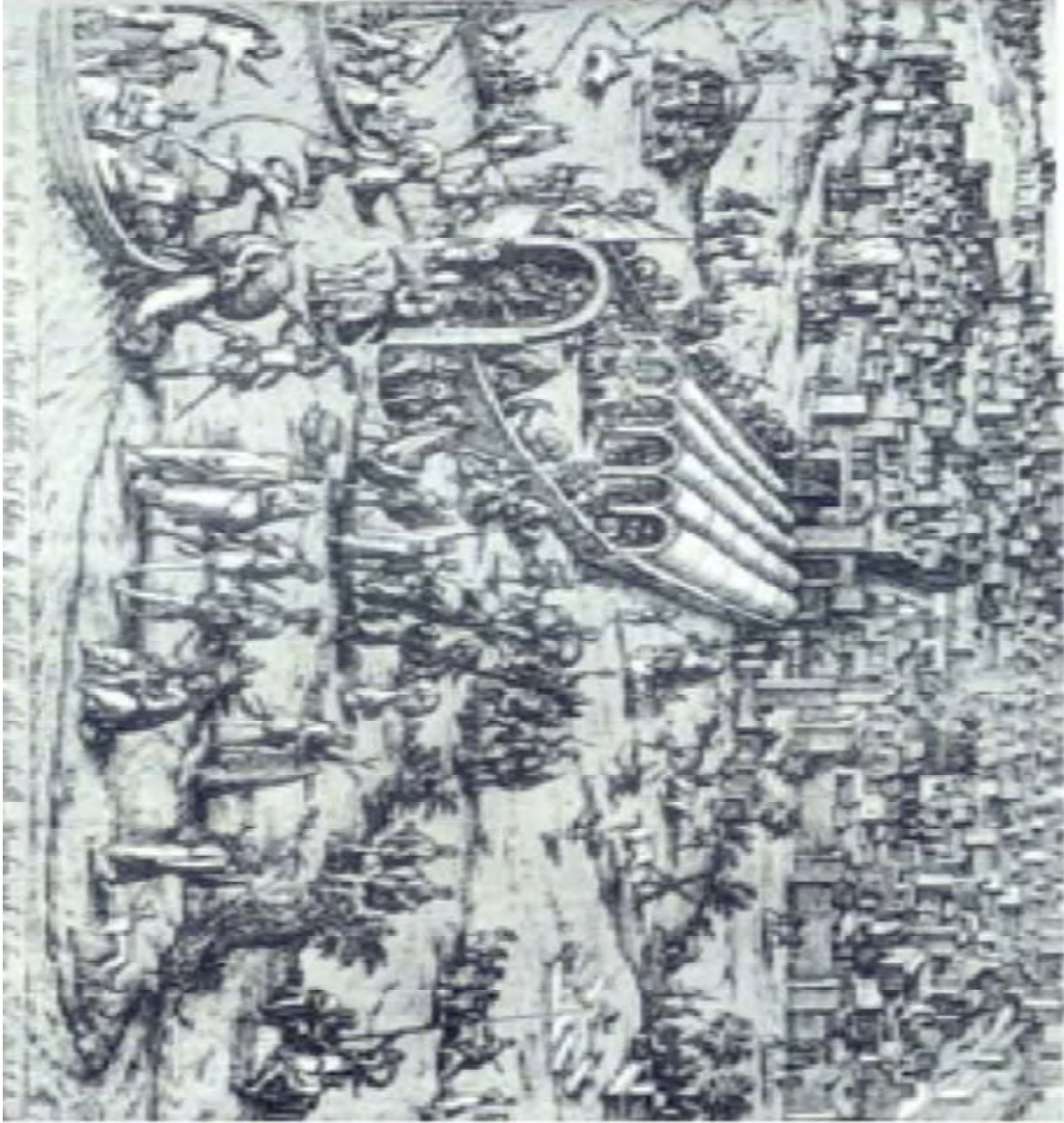
الملاحق.

الملحق(5):خريطة تبين موقع الإمارات المحلية.



-يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، المرجع السابق، ص139.

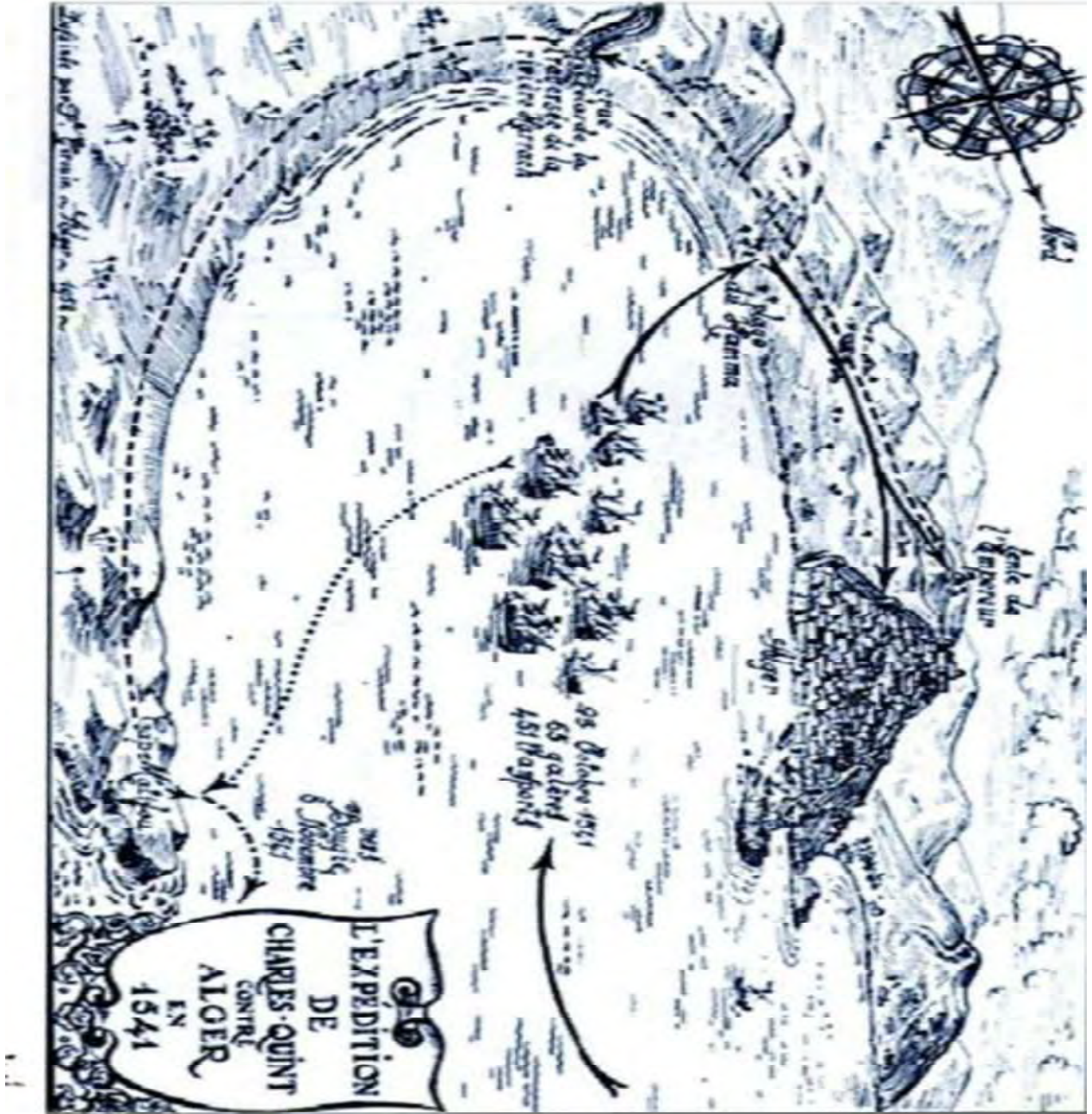
الملحق(6): الحملة الإسبانية على تونس 1535م.



-لحسن قروء، المرجع السابق، ص319.

الملاحق.

الملحق(7): حملة الإمبراطور الإسباني شارلكان على مدينة الجزائر 1541م.



-لحسن قروء، المرجع السابق، ص321.

قائمة

البيبايو غرافيا

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ/-المصادر:

- مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي، دار القصة للنشر، 2009.

-الأحمر ابن، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، 2001.

-التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق خير الدين سعيدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017.

-الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

-الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

-بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

-كربخال لمارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة، الإسكندرية، 1988-1989.

-كربخال لمارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989.

- هايدو فراي ديغو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

ب/-المراجع:

1. الكتب:

- الترعيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.
- الصلابي محمد علي، الدولة العثمانية عوامل وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1955.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- الشناوي محمد عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط1-ط2، دار النفائس، بيروت، 1980-1986.
- العسلي بسام، خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.
- العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1401هـ-1981م.
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

-المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية السياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية.

-المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791(سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-الميلي بن محمد مبارك الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

-الميلي بن محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

-إيفانوف نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574، ترجمة يوسف عطا الله، تقديم مسعود ضاهر، ط1، دار الفارابي، لبنان، بيروت، 1988.

- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماعي، الجزائر.

-بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج1، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2016.

-بن عامر أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974.

-بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.

-بوعزيز يحي، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

- بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830ويليه المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمديرد(1780-1789)، دار البصائر للنشر والتوزيع،2009.
- جبارة تيسير، تاريخ الدول العثمانية(1280-1924م)، جامعة القدس المفتوحة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، فلسطين،2015.
- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ج3، منشورات الحضارة، الجزائر2009.
- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر،2009.
- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر،2009.
- حسن حسين عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس.
- خليفة حاجي، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم،2017.
- دراج محمد، الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص مترجمة من التركية إلى العربية، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2018.
- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس1512-1543، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر،2015.
- دراج محمد، كوكجن قالقان، مطارحات في الفكر التاريخي جداوليات التاريخ العثماني والجزائري الحديث، ط1، مركز الأصالة للدراسات والبحوث، وسم للمعرفة والثقافة، 1444هـ/2023م.

- ساحي أحمد، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م-1767م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، 2015.
- سالم أحمد، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.
- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- سوادي هشام هشام، تاريخ العرب الحديث 1516-1918 من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010.
- سيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000.
- شالر وليم، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب و تعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- شريط عبد الله، الميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، ماي 1965.
- شريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تعليق محمد شاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دط، دار هومة، الجزائر، 2012.
- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- عودة محمد عبد الله، الخطيب إبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.
- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دط، الجزائر، 2007.
- فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دمشق، 1969.
- فرج محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسى زمولي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
- فكاير عبد القادر، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 10هـ/16م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016.
- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- فيلاي كمال، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837)، دار ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2018.

- فيرو شارل، تاريخ جيجلي، تر عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2010م.
- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين.
- قاسم مولود نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- ماسترز بروس، عرب الإمبراطورية العثمانية تاريخ ثقافي واجتماعي (1516-1918)، ترجمة عبد الحكيم ياسين عبد الله، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018.
- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
- نجم شمس الدين زين العابدين، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010-2014.
- ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.
- وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

2. الندوات:

- هلايلي حنيفي، محاضرات بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، الندوة الوطنية المجتمع والدولة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 28 أبريل 2016.
- ت/-المقالات في المجالات:

- ابلالي أسماء، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10/16م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد2، جامعة غرداية، الجزائر، 2017م.
- بن داود نصر الدين، زيرار رضوان، الدور الاقتصادي لمدينة هنين خلال العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد8، العدد3، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ديسمبر 2022م.
- بن شيخ علي، نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والإقتصادي ما بين القرنين 16 و18م، مجلة الحوار المتوسطي، العدد11، جامعة بجاية، 12 مارس 2016.
- بوشنافي محمد، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط 1512-1518م، مجلة عصور، عدد4-5، 2003-2004.
- سحابات زهيرة، جهود العلاج علي باشا في عثمانة تونس على ضوء مهمة دفترى، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقيا، المجلد6، العدد1، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، جانفي 2023.
- سعيدي العربي، انتفاضات القبائل ضد البايات العثمانية في منطقة غليزان، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، المركز الجامعي غليزان.
- صديقي بلقاسم، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519م، مجلة مشكلات الحضارة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 2020م.
- صديقي بلقاسم، دحماني توفيق، الزعامات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي نموذجا)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد22، العدد1، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2022.
- قسول عبد الحميد، إسهامات خير الدين بربروس (1518-1543م/924-950هـ) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق الدراسات الحديثة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد8، العدد1، بوزريعة، 2023.
- السعيدي قاصري محمد، العلماء والفقهاء في الجزائر من اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مجلة عصور الجديدة، المجلد7، العدد26، شتاء-ربيع (أفريل)، 1438هـ/2016-2017م.

- الشافعي درويش، الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد30، جامعة غرداية، الجزائر، سبتمبر2017م.
- بعارسية صباح، أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر) في أوائل القرن السادس عشر، عصور الجديدة، العدد 24-25، صيف – خريف (أكتوبر)، 1437-1438 هـ / 2016 م.
- بن نعمان إسماعيل، الصراع العسكري بين حكام إمارة تنس والعثمانيين بالغرب الجزائري(922-959هـ/1516-1552م)، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد4، جامعة الجزائر2، ديسمبر، 2020.
- بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر(10-13هـ/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، ال عدد2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1431هـ-2011م.
- تركية محمود، البحرية العثمانية بين إنجازاتها في البحر الأبيض المتوسط وإخفاقاتها في البحار الشرقية خلال القرن10هـ/16م، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، المجلد 10، العدد2، جامعة أدرار، الجزائر، جويلية، 2022م.
- تمام محمد رجب ذكي، الأحوال الاجتماعية في تونس في القرن السادس عشر من خلال رؤية الرحالة الإسباني مارمول كربخال، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد46، عدد3، جزء2، جامعة الإسكندرية، جويلية2024م.
- جوامع سالم، الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط مطلع القرن 16م قراءة جديدة في النشأة والمنجزات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 3، العدد 3، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر، شهر جوان 2022.
- جوامع سالم، زريوح عبد الحق، آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد16، العدد2، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 15 جوان2020.
- سعودي أحمد، الإدارة العثمانية في الجزائر والقوى الروحية-الطرق الصوفية-بين التوائم والتصادم، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد9، ج2، جامعة الأغواط.

-شوقي عبد الكريم شوقي، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، أبريل 2021.

-قن محمد، مقيدش علجية، حملة شارلكان على الجزائر عام 1541م ونتائجها، مجلة أفق للعلوم، مجلد 7، العدد 4، الجلفة، 2022م.

-لعباسي محمد، رحلة عروج إلى المغرب الإسلامي من خلال مخطوط "خبر قدوم عروج إلى الجزائر وأخيه خير الدين"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

-مشوشة سمير، البلاد التونسية بين التقارب الحفصي والإسباني والرغبة العثمانية في تجسيد مشروع العثمنة ببلاد المغرب خلال القرن 16م، مجلة عصور، تصنيف ج، المجلد 23، العدد 1، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، جوان 2024م.

-يوسف إلهام، علي صقر ولاء، الصراع الإسباني العثماني على تونس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 5، 2018.

ث/- الرسائل الجامعية:

-بن يوسف مفيدة، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16-17م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

-تومي طاهر، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015.

- جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1547-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ الحيث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018-2019.
- حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007.
- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014.
- دكاني نجيب، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2005-2006.
- صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.
- قروود لحسن، دور الجزائر في تدعيم الحكم العثماني في تونس خلال القرن السادس عشر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص الدولة والمجتمع في

المغرب الكبير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2017-2018م.

-كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط، مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007.

-محمود القيسي أنيس عبد الخالق، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بغداد، ربيع الأول 1429هـ-آذار 2008م.

-ميمن داود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية "تنظيمه وعدته" (1518-1830)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر2، 2015-2016.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

أ/-المقالات في المجلات:

-Abu Nahel Osama Mohamed, The role of the Barbarossa brothers in extending the Ottoman influence in the central Maghreb (Algeria) (916-953AH/1510-1546AD) Journal of Human and Social Sciences (JHSS), Vol7, Issue8, 2023.

-Benali Amar Nouara, Ocupacion Espanola De Bugia1555, Vol12, N3, Algéri, November2022.



فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة.....	أ-ج
الفصل الأول: أوضاع الحوض الغربي للمتوسط عند مطلع القرن السادس عشر.	
المبحث الأول: أوضاع الضفة الشمالية للمتوسط.....	13
أولا: سقوط الأندلس و طرد الأندلسيين.....	14
ثانيا: التهديد الإسباني على سواحل شمال إفريقيا.....	16
المبحث الثاني: أوضاع الضفة الجنوبية للمتوسط.....	17
أولا: التشتت السياسي بعد سقوط الدولة الموحدية.....	17
ثانيا: الاعتداءات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا.....	24
المبحث الثالث: النفوذ العثماني في غرب البحر المتوسط و ظهور الإخوة بربروس.....	28
أولا: الوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط.....	29
ثانيا: الإخوة بربروس بشمال إفريقيا.....	31
خلاصة.....	38
الفصل الثاني: علاقات الإخوة بربروس مع القوى المحلية وتطوراتها.	
المبحث الأول: مرحلة الاتصالات الأولى.....	40
أولا: اتصال أهل المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.....	40
ثانيا: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية.....	43

المبحث الثاني: مرحلة التعاون والتقارب.....	44
أولاً: دواعي التحالف والتقارب.....	45
ثانياً: مظاهر التقارب والتحالف.....	45
المبحث الثالث: مرحلة التنافر والصدام.....	54
أولاً: دواعي التنافر والصدام.....	54
ثانياً: مظاهر التنافر والصدام.....	55
خلاصة.....	63
الفصل الثالث: تداعيات علاقات الإخوة ببروس مع القوى المحلية.	
المبحث الأول: نتائج تقارب وتعاون الإخوة ببروس مع القوى المحلية.....	65
أولاً: الاستقرار السياسي السائد.....	65
ثانياً: التصدي للتحريشات الإسبانية.....	67
المبحث الثاني: نتائج تنافر وصدام الإخوة ببروس مع القوى المحلية.....	75
أولاً: الاضطرابات السياسية السائدة.....	75
ثانياً: المخاطر المترتبة عن الصراع.....	78
خلاصة.....	87
خاتمة.....	89
الملاحق.....	92
قائمة الببليوغرافيا.....	101
فهرس المحتويات.....	114

ملخص:

لقد عاشت بلدان المغرب الإسلامي عامة والمغربيين الأوسط والأدنى خاصة خلال القرن 16م، أوضاعا صعبة نتيجة للصراعات الداخلية بين الدويلات التي تسعى كل منها إلى التوسع وفرض سيطرتها على الأخرى وكذلك الصراع في البيت الواحد حول كرسي العرش مما جعل المغرب الإسلامي منهيار القوى لا يستطيع مجابهة الأخطار الخارجية. وهذا ما شجع الإسبان احتلال المدن الساحلية للمغرب الأوسط. وفي هذا الوقت ظهر الإخوة بربروس في البحر الأبيض المتوسط وانتشر خبر بطولاتهم مع المسلمين الفارين من الإسبان فدعى أهالي المغرب الأوسط الإخوة بربروس لتخليصهم من الهجمات الإسبانية، فقبل الإخوة بربروس وقد سعوا منذ دخولهم إلى المغرب الأوسط إلى ربط علاقات مع القوى الفاعلة في المجتمع عن طريق التواصل مع الأهالي بالاعتماد على زعماء القوى المحلية، تلك القوى التي ظهرت بعد ضعف الزيانيين غربا والحفصيين شرقا. حيث عرفت بعد هذا في علاقة الإخوة بربروس بالقوى المحلية مراحل من التقارب والتنافر. كان بدايتها ود وتحالف وتقارب فرضته الظروف في المغرب الأوسط والخطر الإسباني والانقسام الداخلي وضعف محلي، أما التنافر فقد ظهر نتيجة لاختلاف وجهات النظر والشعور بتهديد المصالح، وكذا وضع الدسائس الداخلية والخارجية مما أدى إلى انقسام داخلي. وترتب عن هذه العلاقات تداعيات، حيث ساهم التحالف بين الطرفين إلى تعزيز الوجود العثماني في المنطقة واستقرار سياسي وكذا تصفية السواحل من الهيمنة الإسبانية، في حين أدى تصادم الإخوة بربروس مع القوى المحلية إلى ظهور الاضطرابات السياسية واضمحلال هذه القوى، وكذا ظهور التحالف بين الإسبان وبعض زعماء القوى المحلية.

Abstract :

The countries of the Islamic Maghreb in general, and the Middle and lower Maghreb in particular, experienced difficult conditions during the 16th century due to internal conflicts between the small states, each seeking to expand and impose its control over the others, as well as the struggle within the ruling this rendered the family for the throne. Islamic Maghreb weak and unable to confront external threats, which encouraged the Spanish occupation of the coastal cities of the Middle Maghreb. At this time, the Barbarossa brothers appeared in the Mediterranean Sea, and news of their heroic deeds spread among the Muslims fleeing from the The people of the Middle Spanish. Maghreb invited the Barbarossa brothers to liberate them from the Spanish the Barbarossa brothers attacks. Accepted and sought, since their arrival in the Middle Maghreb, to establish relations with the influential forces in society by communicating with the people and relying on the local power leaders, those forces that emerged after the weakness of the zayyanids in the The west and the Hafids in the east. Relationship between the Barbarossa brothers and the local powers then went through stages of rapprochement and it began with friendship, alienation. alliance and rapprochement imposed by the circumstances in the Middle Maghreb, the Spanish threat internal As for the division, and local weakness. Alienation it appeared as a result of differing viewpoints and a sense of threatened interests as well as internal and external conspiracies, which led to These relations resulted internal division. In repercussions, as the alliance between the two parties contributed to strengthening the Ottoman presence in the region and political stability, as well as clearing the coasts of Spanish hegemony, while the clash between the Barbarossa brothers and the local powers led to political unrest and the decline of these powers, as well as the emergence of an alliance between the Spanish and some local power leaders.